الدروس الرسالية
من حياة الشهيدين الصدرين
(قدس سريهما)

مع ملحق في كلمات تأبين عدد من العلماء المعاصرين

من خطب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

دار الصادقين
للطباعة والنشر والتوزيع
النجف الاشرف / شارع الرسول صلى الله عليه وآله
٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤
الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

الشهيدان الصدران
تنوع أدوار ووحدة هدف

الاحتفال الواعي:

نستقبل خلال أيام الذكرى السنوية السابعة لاستشهاد[1] سيدنا الأستاذ الشهيد السيد محمد الصدر قدس سره في الثالث من شهر ذي القعدة، وأعتقد أننا إلى الآن لم نحتفل بالسيد الشهيد قدس سره احتفالاً واعياً يستلهم من أفكاره ومشاريعه ورؤاه ومنهجيته في العمل ما يوجّه مسيرتنا الحاضرة والمستقبلية.

الماضي ينير للحاضر الوعي والبصيرة:

وقد قلنا أن الماضي إنما يكتسب أهميته ويكون ذا قيمة إذا وُظِّف لحل مشاكل الحاضر والمستقبل ومعالجة قضاياهما، أما الاقتصار على الاحتفال

(١) للعام ١٤٢٦ هجري الموافق: ٢٠٠٥ ميلادي.

العاطفي وتعداد المناقب والانجازات فهذا وإن كان فيه وفاءٌ لصاحب الذكرى إلا أنه يعود إليه وقد لقي جزاءه الكريم عند ربّه الكريم فماذا قدّمنا نحن وماذا استفدنا من ذلك كله؟

ماذا يعني أن نستلهم التجارب من حياة العلما؟

ولا نعني باستلهام التجربة والاستفادة منها استنساخها وتكرارها مهما كان صاحب التجربة عظيماً؛ لأن الظروف الموضوعية وتغيّر الزمان والمكان لها كل التأثير في رسم خطة العمل وهذه ليست متطابقة، وإذا كان الأئمة عليهم السلام وهم معصومون لهم أدوار متنوعة وإن كان الهدف واحداً مشتركاً فما بالك بغير المعصوم؟

الفرق بين منهج الصدر الأول والثاني:

إذن ليس من المعقول أن يعيش اللاحق نفس منهج السابق وبرنامجه فالشهيد الصدر الأول قدس سره له ظروفه ومنهجيته، والشهيد الصدر الثاني قدس سره وكذا من يأتي بعده، وأشير هنا إلى بعض الفروق بين المنهجيتين:

١. نظم الشهيد الصدر الأول قدس سره عمل الأمة وخصوصاً الشباب الرسالي في تشكيل هو (حزب الدعوة الإسلامية) لمّا رأى ضرورةً لمشاركة الإسلاميين في الحراك السياسي وتنظيم عمل الحركة الإسلامية وكانت الفرصة مؤاتية لذلك حتى قُمع بكل بطش وقسوة واستشهد هو قدس سره وخير أبناء الأمة، فليس من المعقول أن يسير الشهيد الصدر الثاني قدس سره على نفس الخط، لذا فإنه عبّأ الأمة ونظّمها بآلية أخرى هي الاتصال المباشر مع الأمة وبلغت ذروتها في صلاة الجمعة

وخلق الوعي العام والحركة الجمعية التي حشّدت مئات الآلاف من المؤمنين يعجز عن تحشيده أكبر الأحزاب حجماً وأكثرها تنظيماً من دون أن يعطي للسلطة مبرراً لضربها.

٢. إن الشهيد الصدر الأول قدس سره ركّز على بناء عقول أبناء الأمة ووعيها فكتب لهم في الاقتصاد والفلسفة والأسس المنطقية للاستقراء وغيرها ولكنه لم يركّز على تهذيب النفس وتطهير القلب مما يُعرف بعلم الأخلاق لا لغفلةٍ منه قدس سره عن الحاجة إليه! كيف وهو يرى رسول الله صلى الله عليه وآله يسميه (الجهاد الأكبر) وكان قدس سره يجسّد كل الأخلاق الكريمة في حياته الشريفة، لكنه ربما كان يعتقد أن التربية العامة من خلال الخطباء والمواعظ وكتب الأخلاق كافية لتأمين هذا الجانب، او أنه قدس سره رأى أن التحدي الأكبر يومئذ هو فكري ايديولوجي.

لكنه فوجئ بعد ثلاثة عقود من العمل الإسلامي ومن بعض المواقف التي شهدها في أواخر حياته التي رواها الشيخ النعماني في كتاب (سنوات المحنة وأيام الحصار) أنه كان حسن الظن أكثر مما ينبغي، وعليه أن يركز على هذا الجانب أكثر من غيره فألقى خطبته المدوّية عن حبّ الدنيا فبكى وأبكى الحاضرين من طلبته في مسجد الطوسي قبيل استشهاده قدس سره.

وقد عبّر هو عن هذا النقص في التربية حين قال (إننا استطعنا أن نربي الناس إلى نصف الطريق) وقد نقلها الشهيد الصدر الثاني قدس سره في بعض رسائله لي التي طبعتها بأنه قدس سره يقصد أنه ربّى عقول الناس ولم يربِّ قلوبهم ونفوسهم.

النقص في التربية الأخلاقية:

وهذا ما التفت إليه الشهيد الصدر الثاني قدس سره فكان يغتنم الفرص لإلقاء المحاضرات الأخلاقية، ورسائله لي التي جمعتها في كتاب (قناديل العارفين) خطوة كبيرة في هذا المجال وقد استفدنا بفضل الله تبارك وتعالى من هذه التجارب وغيرها وحاولنا بلطف الله تعالى أن نختط المنهج المناسب للظروف التي نعيشها.

كل مشاكلنا بسبب النقص في التربية الأخلاقية:

وما نعانيه اليوم من كوارث ومظالم من الأقربين قبل الأبعدين إنما يعود إلى النقص في تربية النفس وتهذيبها ومخالفة هواها، حتى انه مرّت حوالي ثلاث سنين على سقوط الصنم ولا زال الناس يشعرون بالإحباط من عدم وجود تغيّر ملحوظ في حياتهم بسبب وجود هذا النقص عند الكثير من المتصدّين للحكم وإدارة البلد

من دون أن نغمط المحسنين حقّهم التزاما بقوله تعالى ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، فالعمل في هذا الاتجاه ـــ اتجاه تربية النفس وتهذيبها ـــ من الأسس الرصينة للحركة الإسلامية بالاتجاه الصحيح.

لنستلهم من الشهيدين الصدرين:

كنت قد كتبت كلمة بعنوان (لو كان الشهيد الصدر الأول قدس سره بيننا الآن لفعل ماذا؟)[1] وتحدثت عن عدة مشاريع استشرافية مستفادة من معالم هذه المدرسة الرسالية، وهي إحدى الآليات التي تفعّل هذا المنهج من دراسة سيرة العظماء والقادة والمصلحين، فلنكرر السؤال في ذكرى استشهاد السيد الصدر الثاني قدس سره لنستلهم منه قدس سره المشاريع والأفكار التي تبرمج حياتنا الحاضرة،

(١) ستأتي الكلمة فقد أدرجناها في هذا الفصل.

وأنتم كلكم أكاديميون وربما عاش أكثركم الحركة الإصلاحية للشهيد الصدر قدس سره وتأثّر بها، فمساهمتكم في إجابة استبيان بهذا السؤال ستغني هذه الفعالية وتأتي بنتائج مباركة.

وقد جرّبنا مثل هذه الآلية فحصلنا على جهود رائعة مثلاً كتاب (ثمار الخطابة بين المنبر الحسيني ومنبر الجمعة) والذي كان حصيلة استبيان عن الفرق بين المنبرين والنقلة الكبيرة التي أحدثها منبر الجمعة خلال فترة سنة وخرجنا بثلاثة وعشرين خصيصة لمنبر الجمعة، والكتاب مطبوع ويمكن الرجوع إليه.

مضافاً إلى أن مثل هذه الفعاليات ستنشّط الحركة الإسلامية في الجامعات وتعزز موقفها؛ لأني أسمع عن نشاط العلمانية والدعاة إلى الانحلال في أروقة الجامعات ويغذّيها بعض الأساتذة مع الأسف، وأحد أسباب ذلك خمول

الإسلاميين وضعف أدائهم وعجزهم عن تقديم برامج مقنعة للشباب الجامعي، وكلما تراجع العمل الإسلامي نشط الآخر لأن الساحة لا تبقى فارغة فأما أن يملأها الصلاح أو الفساد والعياذ بالله، والمواجهة مفتوحة بين النور والظلام فكلما انسحب النور انتشر الظلام.

وكنت قد ألقيت قبل سنتين في مثل هذه المناسبة كلمة بعنوان (عوامل نجاح الحركة الإصلاحية للشهيد الصدر الثاني قدس سره)[1] وهي تندرج في هذا الاتجاه.

وحينما نطالب بالاحتفال الواعي في مثل هذه المناسبات فإننا لا نريد أن ننتقص من أهمية العاطفة واستثارتها فإنها عنصر قوة لا تقل عن قوة الوعي وإذا

(١) ستأتي الكلمة وقد أدرجناها في هذا الفصل، فانتظر.

اجتمعا ـــ كما اجتمعا في قضـية الثـورة الحسينية ـــ تولد محرّك كبير للأمة وقدرة على صنع المعجزات.

الشهيدان الصدران
واستشراف المستقبل[1]

من مميزات القائد استشراف المستقبل:

مما يتميز به القائد عن غيره استشراف المستقبل ومعرفة متطلباته فيستعد له وينجز الأعمال المناسبة له إضافة إلى ما يقتضيه الواقع الحاضر، ولأن هذا المستقبل مجهول عند غيره فإن من حوله سيعترض ويشكك ويتمرد وكان عليه الإذعان والطاعة لقائده مادام قد وثق به واعتقد بجدارته.

خذ لذلك مثلاً الإمام الحسين عليه السلام فإنه كُشف له وعَلِم النتائج الباهرة التي ستتحقق بناءاً على حركته المباركة

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع حشد من المواكب والوفود القادمة لزيارته وتعزيته يوم السبت ٤ ذ.ق ١٤٣٠ المصادف ٢٠٠٩/١٠/٢٤.

المضمّخة بالدماء الزكية فأقدم عليه السلام مسروراً على الشهادة، ولم يكتف بذلك بل كشف عن بصائر أصحابه بعد أن امتحن إخلاصهم وثباتهم فأراهم منازلهم في الجنة التي تعني على بعض الوجوه الآثار المباركة المترتبة على نصرتهم وثباتهم وتضحيتهم يوم عاشوراء والمستمرة إلى يوم القيامة وهي حسنات تضاف إلى رصيدهم والجنة هي تلك الأعمال الصالحة التي يوفق إليها المؤمن.

ولأن هذه الصورة غير واضحة لغير الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فقد اعترض عليه كثيرون ومنهم بعض أولاد عمومته ورأوا أن حركته لا جدوى منها إذ ليس من المعقول أن يغيّر نظاماً طاغوتياً تمتد سلطته على بلاد مترامية الأطراف بعشرات من الأصحاب ومثلهم من النساء والأطفال، واعتراضهم هذا ناشئ من اقتصار نظرهم على واقعهم الحاضر من

دون استشراف المستقبل ومتطلباته.

القائد هو من يصنع المستقبل بلطف الله تعالى:

وإذا أردنا أن نتقدم خطوة إلى الإمام في هذا التفكير فنقول أن القائد هو الذي يصنع المستقبل ويحدّد مسار الأحداث ومآل الأمور بلطف الله تبارك وتعالى من خلال المشروع والبرنامج الذي يسير عليه، وهنا أتذكر أن السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره سألني في اليومين الأولين من الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م عن موقف المرجعية المعروفة يومئذٍ من الأحداث فقلت يسوده الترقب وانتظار ما ستؤول إليه الأحداث، قال قدس سره: حبيبي ومن الذي يصنع الأحداث؟!

البصيرة الثاقبة للشهيدين الصدرين:

من هذه المقدمة أريد أن أركّز على نقطة وردت في الخطاب الذي وجّهته إلى

صلوات الجمعة الموحدة في أنحاء العراق أمس في ذكرى استشهاد السيد الصدر قدس سره وفحواها أن الشهيدين الصدرين (قدس الله روحيهما) أدركا ببصيرتهما الثاقبة أن هذا العصر وما يليه هو كزمان الإمام الصادق عليه السلام من حيث تشكّل المذاهب والمدارس والأيديولوجيات التي ستتصارع لاجتذاب البشرية وإقناعها بها والتأثير عليها وتوجيهها، والإسلام المحمدي الأصيل الذي نقله لنا أهل البيت (سلام الله عليهم) في وسط هذا التحدي بل هو المستهدف الأول، ولم يعُد كافياً أن نحيلهم إلى الرسالة العملية إذا سألونا عن مختلف قضايا الاقتصاد والاجتماع والسياسة والحكم والعلاقات الإنسانية والأخلاق وغيرها وسينفضّ الناس عن هذا الدين الحق إذا شعروا بالعجز عن إجابة الأسئلة وحل الإشكالات، فشعرا بالحاجة إلى بيان

المعالم التفصيلية لهذا الدين ومواقفه من كل شؤون الحياة حيث عنون الشهيد الصدر الأول قدس سره عنوان أحد كتبه (الإسلام يقود الحياة).

عندما نستوحي من سيرة المعصومين عليهم السلام:

كما أن مذهب التشيع لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت (سلام الله عليهم) كان معروفاً منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت علامته الولاء لعلي وأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) والأخذ عنهم لكن هذا البيان والطرح لم يكن كافياً في عهد الإمام الصادق عليه السلام حيث بدأت الحضارات والأيديولوجيات تتلاقح وتتصارع فتصدى الإمام عليه السلام إلى بيان حكم كل حالة والموقف من كل قضية وعلى رأسها التوحيد والإمامة والأخلاق والعلاقات الاجتماعية وأحكام الحلال والحرام فكانت عصا موسى التي

تلقف ما يأفكون.

وهكذا رأى الشهيدان الصدران (قدس الله روحيهما) أن المدارس تتصارع وقد ألقى أتباع كل مدرسة عصاهم التي يخيّل إليهم من سحرهم أنها تسعى ليسحروا الناس ويجتذبوهم فلا بد لقادة الإسلام أن يلقوا بعصاهم التي تلقف ذلك السحر وتفضحه وتبين معالم الحق وأهله.

وهذا الاستشراف هو الذي دفع السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره إلى أن يبيّن مجموعة من الحقائق ويضع خصائص منهج الحوزة الناطقة مما جهله الآخرون فنصبوا له العداوة والبغضاء وافتروا عليه وخذلوه.

وهو قدس سره حينما قال: (لقد حرّرتكم من مخططات ألف عام) لا يريد بذلك الإساءة إلى السلف الصالح الذين بذلوا جهوداً جبارة في حفظ علوم أهل البيت (سلام الله عليهم) بمقدار ما سمحت به

الظروف، ولكنه قدس سره أراد أنه وضع للأمة منهجاً جديداً مواكباً لتحديات العصر فيه إضافة للمنهج السابق الذي لا يغني الاقتصار عليه لتحقيق هذه المواكبة فلا يرجعوا إليه.

ماذا سيفعل الشهيد الصدر الأول (قدس سره) لو كان حيا بيننا الآن؟ [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهم مميزات الشهيد الصدر الاول هي الفهم الواعي لأدوار الأئمة عليهم السلام:

تهتم الاحتفالات المقامة لأحياء العظماء بسبر سيرتهم وتعداد آثارهم ومنجزاتهم وهو عمل جليل وفيه الكثير من الإنصاف لهؤلاء الذين تشكل حياتهم

(١) كلمة أعدّت لإلقائها في الاحتفال الذي يقيمه حزب الدعوة الإسلامية بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لاستشهاد مؤسس الحركة الإسلامية في العراق السيد محمد باقر الصدر، وأقيم في كربلاء يوم ٦/ ٤/ ٢٠٠٤ وتحدث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) بمضمون الكلمة ارتجالاً من تلفزيون (العراقية) في بغداد وأعيد بثه عدة مرات.

منعطفاً في حياة الأمة، إلا أنه مع ذلك يبقى صورة للماضي وإرشيفاً للتاريخ، فإذا أردنا أن يكون احتفالاً واعياً مثمراً فلابد من محاولة استلهام روح ذلك العظيم وقراءة أفكاره ومشاريعه؛ لنلتمس منها الحلول لمشاكلنا وقضايانا المعاصرة المستقبلية، وبذلك يتحوّل العظيم إلى مصدر للعطاء يرافقنا في كل مستجدات الحياة ويضع أيدينا بدقّة على الموقف المناسب.

هذا ما أراده السيد الشهيد الصدر قدس سره من محاضرة (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) وهي محاضرة واحدة، إلا أنني إلى الآن قدّمت أكثر من عشرين محاضرة لشرحها وتعميق أفكارها وما زال الحديث مستمراً.

وفي عقيدتي إن أحد مناشئ عظمته قدس سره هو فهمه الواعي المستوعب للأدوار المشتركة التي عاشها الأئمة عليهم السلام

في حياة الأمة، وقدرته على تمييز الحالة التي تناسب هذا التصرف أو ذاك، مما يبدو لأول وهلة أنها مواقف متناقضة إلا أنها في الحقيقة ادوار متبادلة والقائد الناجح من يستطيع ربط كل موقف بحالته المناسبة، وبتعبير آخر ربط كل حكم بموضوعه الخاص، فإذا انضّم لهذه الدراسة المجموعية لحياة الأئمة فهم وتفسير موضوعي للقرآن الكريم يجمع شتات الموضوع الواحد من آيات متفرقة وينظر إليها نظرة واحدة ويرتب بين مفرداتها ليحصل على نظرة متكاملة إلهية لقضايا الكون والإنسان.

أقول: إذا انضّم هذان المكوّنان لشخصية الإنسان فإنه حتماً سيكون مؤهلاً لقيادة الأمة بحكمة حتى يوصلها إلى الكمال المنشود؛ لذا لم يكن غريباً أن تجد هذين العنصرين واضحين في شخصيات المصلحين العظام كالسيد

الخميني والشهيدين الصدر الأول والثاني (قدس الله أسرارهم).

قراءة واعية في مشاريع الشهيد الصدر الأول:

في ضوء هذه المقدمة نريد أن نقرأ أفكار وآثار ومشاريع السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره لنجيب عن تساؤل مهم يفترض أن يفكر فيه كل عامل مخلص يهمّه الوصول إلى حل للقضية العراقية لإخراج هذا البلد العريق وشعبه الكريم من أزمته وبناء عراق حر كريم كما وصفه الشهيد قدس سره في خطاباته الأخيرة والتساؤل هو أنه لو كان الشهيد الصدر قدس سره حياً الآن لفعل ماذا؟ وهو أبو العراق والعراقيين ومؤسس الحركة الإسلامية في العراق وباعث الروح فيها بل تجاوز تأثيره إلى غير العراقيين من المسلمين والى غير المسلمين من البشر فأصبح رمزاً عراقياً وإسلامياً وإنسانياً.

وحينما أسجل الأفكار التالية بالترتيب فإني لا أعني أنه سيسير فيها طولياً كالسلسلة فينتهي من حلقة ليدخل في الأخرى، بل أنه سيعمل لها جميعاً في خطوط متوازية وبعرض واحد، وهي مسؤولية شاقة وعظيمة إلا أنها ليست كثيرة على همة أهل العزم والإخلاص لله تبارك و تعالى وذوي الأهداف السامية الكبيرة حتى قيل (كم من همّة صنعت أمة) وشواهدها التاريخية كثيرة.

وبما أن العراق يواجه تحديات ستراتيجية ومرحلية فأنه قدس سره سيفكّر على كلا المستويين وسيقيم مشاريعه في كلا الاتجاهين.

تطوير الحوزة:

فيقوم بتطوير الحوزة العلمية الشريفة لتكون قادرة على تحمل هذه المسؤولية الجديدة، فيتوسع في قبول الطلبة فيها لأن

النجف الأشرف ليست مسؤولة عن نفسها فقط ولا عن العراق فحسب، بل عن العالم كله وهذا يحتاج عدداً ضخماً من حملة الرسالة والدعاة إلى الله تعالى، وسيجعل شروطاً لقبولهم بأن يكونوا من الواعين للمسؤولية ولدورهم في حياة الأمة، ويحاول استقطاب حملة الشهادات الأكاديمية لأنهم يكونون أكثر تأثيراً في المجتمع أولاً وذوي ذهنية معمقة ثانياً ومستوعبين لواقع الأمة لأنهم عاشوه بكل تفاصيله ثالثاً، وسيعمل ضمن هذا الإطار على وضع برنامج إداري مركزي ينظم شؤونها يشابه النظام الأكاديمي ليتمكن من استثمار كل طاقاتها وقدراتها ولا يتحقق ذلك إلا بالنظام.

وسيهذِّب مفردات المنهج الدراسي فيحذف الكثير من المطالب التي تعتبر ترفاً فكرياً ولّدته ظروف موضوعية في حينها، ولم يعد لها الآن مبرر، والاستمرار

بتدريسها يضيع الكثير من وقت الطالب الذي هو في حاجة إليه وسيضع مناهج جديدة في بعض العلوم، يلاحظ فيها التدرج الدراسي والتدريب الذهني واللغة المعاصرة مع المحافظة على عمق المطالب، كما فعل في كتابه (دروس في علم الأصول) وجعله بحلقات ثلاث. ويضيف إلى العلوم المتداولة في الحوزة دروساً في الوعي السياسي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي وتعليم اللغات الحية ويدخل الوسائل التعليمية وأدوات الاتصال المعرفي المتطورة.

البناء الأخلاقي لطلبة الحوزة:

كما أنه قدس سره سيهتم ببناء الجانب الأخلاقي لطلبة العلوم الدينية ويهذب نفوسهم ويسمو بأهدافهم ويعمّق صلتهم بالله تبارك وتعالى ويزهدهم فيما سواه، كما فعل في محاضرته الأخيرة عن حب

الدنيا قبل استشهاده قدس سره حتى أبكى عيون الحاضرين وارتقى بهم إلى أجواء روحية صافية لازال يعيشها كل من سمعها، فإن العلم وحده غير كافٍ للتكامل وهداية الآخرين إذا لم يقترن بالعمل الصالح قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).

نشر فقه أهل البيت (عليهم السلام):

وسيعمل على نشر الحوزات العلمية في جميع مدن العراق ليخلق واقعاً إسلامياً دينياً شاملاً بدلاً من اقتصاره على مدينة النجف الأشرف، ولأنه يعلم أن الحوزات العلمية هي حصون الأمة التي تحفظ لها هويتها وتقودها نحو الهدى وتجنبها الردى.

وسيعمر المساجد بالدعاة والمبلغين الرساليين الذين يحملون همّ الإسلام بين جوانحهم، ويسعون إلى إقناع الناس به

حتى يحكّموه في حياتهم، وبذلك تنطلق من المساجد شعلة الإيمان المتدفقة كما كانت في عصر النبوة وصدر الإسلام فما دامت المساجد بخير وتؤدي وظيفتها فإن الأمة تكون بخير.

وسيعطي للمرأة والشباب حيّزاً كبيراً من مشاريعه فينشر المراكز الثقافية والتربوية، ويزودها بالكتب التي تنمي الوعي الإسلامي وتعرف المسلم بهويته وتعلمه تكاليفه، ويرسم لهذه المراكز نشاطاتها من عقد الندوات والحلقات العلمية للفقه والأخلاق والتفسير والعقائد والسيرة، ويزودها بكل المرغبات التي تجذب إليها أبناء الأمة من الذكور والإناث، ويجعلها عامرة بالفعاليات وحافلة بالخدمات الاجتماعية والإنسانية.

وسيختار للمدن وكلاء من طراز خاص يفهمون رسالته، ويقومون بكل تلك الأدوار ليس للدنيا في حساباتهم نصيب.

وسيضع للأطفال برامج تثقيفية واجتماعية تنشئهم على الإيمان بالله تبارك وتعالى والالتزام بشريعته بالوسائل المحببة إلى نفوسهم.

تمثيل النموذج الحضاري الإسلامي:

وسيمثّل للإسلام والمسلمين نموذجهم الحضاري الأول في هذا الصراع الذي أعلنه الغرب في مواجهته للإسلام بما يسمونه (صراع الحضارات)، وسيعمل في مسارين مزدوجين.

أحدهما التعريف بالإسلام كشريعة وقانون قادر على قيادة الحياة بكل أنشطتها ويغطي كل شاردة وواردة من فعاليات الإنسان، ويبين معالم هوية المسلمين كأفراد وكأمة وأسس حضارتهم ومبادئهم ومرتكزاتهم.

وثانيهما بيان نقائص الحضارة الغربية على مستوى النظرية والسلوك فيبين نقاط

الخلل في الأيديولوجية التي يتبنونها والابتعاد عن الإنسانية في تصرفاتهم التي تهبط إلى مستوى الهمجية الحيوانية أحياناً.

وهو بذلك يفتح باباً واسعاً لحوار الحضارات لأنه ابن القرآن الذي دعا للحوار وللرجوع للثوابت المشتركة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فإن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤)، ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، فليست العلاقة بين بني البشر هي الصراع والتزاحم بل التعاون البنّاء، فإن الأرض بخيراتها تسعهم جميعاً ولكل واحدٍ منهم مكان عليها ولن تضيق عن أحد.

من عطاء الشهيد الصدر على المستوى السياسي:

وعلى الصعيد السياسي فسيكون قدس سره البوتقة التي تنصهر فيها كل رؤى ومطالب أطياف الشعب العراقي الدينية والعرقية ليصوغها في نسيج موحد يحفظ لهم جميعاً حقوقهم ولا يحيف على أحد لمصلحة أحد، وسيكون أباً للجميع وصمام أمان لوحدة هذا الشعب لثقة العراقيين جميعاً بنزاهته وفكره النيّر وتجرده عن الأنا، وقلبه الكبير الذي وسع حتى أعداءه جلاوزة الأمن الذين كانوا يحاصرون بيته ومنعوا عنه أبسط حقوق الحياة، ومع ذلك فلما أطلّ من شرفته عليهم في يوم حار ورآهم يتصببون عرقاً أمر خادمه الشخصي بسقيهم الماء، هذه الذات السامية سيجتمع عليها جميع العراقيين ويلتمسون عنده المخرج، وقد جربوا رجاحة عقله وعمق وعيه السياسي

في حله للقضية الكردية حينما اجتمع به عدد من طلبة جامعة بغداد من الأكراد في ذروة الأزمة السياسية بينه وبين النظام، فقدم الأطروحة التالية التي رواها أحد أعضاء الوفد قائلاً:

(إن حل القضية الكردية في العراق سهلٌ وبسيط إننا نؤمن أن تدار المناطق الكردية من قبل الأكراد وبأي تسمية كانت حكم ذاتي أو إدارة ذاتية وبعد إجراء انتخابات بهذا الخصوص لكي يحدد الأكراد أنفسهم طريقة الحكم. ونؤمن أن تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية للمناطق الكردية (لغة تدريس وتداول ثقافة) على أن تكون عقيدة الرجال الذين يديرون المناطق الكردية مسلمون حقيقيون عقيدة وسلوكاً وهذا من حقنا حيث أن رؤساء مناطق الحكم الذاتي وجمهوريات الاتحاد السوفيتي هم من نفس عقيدة السلطة المركزية (أي

الشيوعيين)).

وسيضع كل هذه الرؤى مع الضمانات الضرورية لتنفيذها في دستور متكامل ينظم عمل السلطات في البلاد والهيئات الدستورية المراقبة لها.

كل هذه وغيره كان يمكن أن يقدمه السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره للأمة، لولا أن مجرم العصر صداماً أقدم على جريمته النكراء بإعدامه وأخته العلوية الطاهرة بنت الهدى، وحرم الأمة من بركات عطائه، لكنه قدس سره لم يمت بل سيبقى محركاً للأجيال كي تواصل مسيرته وتحقق له آماله كي تقر عيناه عسى الله أن يجمعنا وإياه في مستقر رحمته في جوار أجداده الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الاقتصار على الاحتفال السياسي في

ذكرى الشهيد الصدر قدس سره ظلم له[1]

لا تتاجروا بالمرجعية:

لا زلنا في أجواء ذكرى استشهاد المرجع والمفكر والقائد والأسوة ومثال العالم العامل وهو السيد محمد باقر الصدر قدس سره، وقد ساءنا الاقتصار في إحياء ذكراه على الاحتفالات السياسية إذا كان التعبير دقيقاً.

وهذا المنحى ـــ أعني اتخاذ الجهات السياسية للمراجع العظام والعلماء الكرام رموزاً للمتاجرة بها والتسلّق إلى مواقع السلطة من خلالها وتأطيرها بهذه الفئوية الضيقة ـــ ظلم لأولئك الأعاظم وتحويل الإخلاص الذي عاشوه والهم الإنساني

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع حشد من الزوار من بينهم وفد عشائر بني زيد في الناصرية يوم الخميس ٢٠/ربيع الثاني/١٤٣٠ المصادف ٢٠٠٩/٤/١٦.

والإسلامي الذي حملوه إلى دنيا زائفة يتصارعون إليها، وربما جرّ صراعهم إلى محاولة تنقيص كل جهة من رمز الجهة الأخرى وغيرها.

حب الدنيا رأس كل خطيئة:

وهذا المعنى التفت إليه السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره وحذر منه في آخر محاضراته عن حب الدنيا، وكان أكثر شيء آلمه وهو في أيامه الأخيرة بحسب ما يروي صاحب كتاب (سنوات المحنة وأيام الحصار) هو عندما عرض مشروع القيادة النائبة التي تخلف قيادة الحركة الإسلامية على بعض المقرّبين منه فيسأله عن موقعه فيها فإن كان رأساً لها فهو وإلا فلا.

هذه الدنيا التي حذر من الوقوع في شراكها أغوت الكثيرين ووظّفوا كل شيء لها حتى ذكرى السيد الشهيد

الصدر قدس سره فلم تشهد اهتماماً يُذكر بإبراز العظمة والإبداع في آثاره العلمية أو الفكرية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، أو الجهادية وغيرها، مع أننا مطالبون بإحياء هذه الجوانب لتتأسى بهم الأمة فتهتدي بهداهم وتسير على دربهم.

لماذا نحتفي بالعلماء؟

لا شك أن الأئمة المعصومين عليهم السلام هم الأسوة الأعلى لأنهم الأكمل لكن هذا لا يغني عن دراسة سير العلماء الأعلام والمراجع العظام والشهداء الكرام وإحياء ذكراهم وإبراز مكامن القوة فيهم لأمور:

١. الوفاء لهم بإدامة ذكرهم بالخير والدعاء لهم والترحم عليهم (والذكر للإنسان عمرٌ ثاني).

٢. لأنهم مظهر لصفات الكمال عند المعصومين عليهم السلام فإذا كان الشهيد الصدر قدس سره وهو أحد أتباع مدرسة أهل

البيت عليهم السلام وممن نهل من علومهم بهذه الدرجة الرفيعة من العلم والأخلاق الكريمة والجهاد والتضحية فما هي درجة هذه الصفات عند الأئمة (سلام الله عليهم)؟.

٣. إن حياتهم وآثارهم وسيرتهم تمثل قراءة وتجسيداً عملياً لسيرة المعصومين عليهم السلام إذ إن أغلب الناس إلا من ندر يحتاجون إلى من يقرأ لهم سيرة المعصومين ويقدّمها لهم ولا يستطيعون فهمها مباشرة أو استيعابها فضلاً عن الإحاطة بها، فيكون دور العلماء تقريب تلك الصورة إلى الأجيال من الناس فمثلاً هناك إشكال يتردد بأنه لماذا صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية ويرفع الإمام الحسين عليه السلام السيف في وجه يزيد فيقدّم لنا السيد الشهيد الصدر قدس سره قراءة لذلك الواقع ويشرحه بأنه (تنوع أدوار ووحدة هدف) والهدف دائماً هو الإصلاح ﴿إِنْ

أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود:٨٨) وهو ما عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «إِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الأِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي صلى الله عليه وآله»[1].

ولذا فنحن بحاجة دائماً إلى فكر العلماء وعلمهم والاختلاط بهم واستجلاء سيرتهم ليعكسوا لنا من خلالها سيرة وعلم الأئمة عليهم السلام وعلى هذا نجد أن قدر هؤلاء العلماء يزداد بمقدار أخذهم من الأئمة المعصومين عليهم السلام وتجسيدهم لسيرتهم

نعرف الله تعالى من خلال المعصومين عليهم السلام:

وفي الحقيقة فإن الأكمل في هذا أن ننتقل من صور المعصومين عليهم السلام وصفاتهم إلى الصفات الإلهية فإنهم مظهر لها بحسب ما يناسب إدراكاتنا المحدودة، فإن المثل الأعلى الذي يجب أن يتّخذ هو الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى ﴿وَلِلّهِ

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٢٩.

الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل:٦٠).

فكان المعصومون (سلام الله عليهم) مظهرين لتلك الصفات الحسنى على أرض الواقع ليتعرف الناس على صور بمقدار ما من الصفات الإلهية الحسنى فحينما تطّلع على رحمة رسول الله صلى الله عليه وآله وعفوه وصفحه وكرم أخلاقه وهو يعفو عن قاتليه ويدعو لأعدائه بالمغفرة والهداية فإنك تأخذ فكرة مبسطة عن صفات الله تبارك وتعالى.

وهكذا أمرنا أن نأخذ من صفات الله تبارك وتعالى ونتخلّق بأخلاقه، فإن قيمة الإنسان تزداد بمقدار ما يتصف به من أخلاق الله، وهو وجه شرحنا به الحديث الشريف «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

فمثلاً من صفات الله تبارك وتعالى (سريع الرضا) وهكذا يجب أن نكون في علاقاتنا مع الآخرين، لا ندع الغضب

يتملّكنا ويسيطر علينا إذا أساء لنا الآخرون وإنما سرعان ما يتبدد ويتلاشى.

ليس بظلام للعبيد:

ومن صفات الله تبارك وتعالى أنه ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال:٥١) فلنجتنب الظلم بكل أشكاله ابتداءً من ظلم النفس بالمعاصي وعدم إتباع الحق والتقصير في الواجبات، إلى الظلم داخل البيت للزوجة والأطفال وسائر أفراد العائلة، إلى ظلم الآخرين خلال التعاطي معهم وعلى رأسه ظلم المسؤولين والموجودين في السلطة للناس وعدم الإخلاص والتفاني في خدمتهم وانشغالهم بمصالحهم الشخصية والفئوية.

والظلم بكل هذه الأشكال ضارب بأطنابه عند كل الناس وإذا كان بعض الظلم مما يغفر ويعالج بالتوبة والندم وعقد العزم على عدم العود وتدارك ما

فات كظلم الإنسان نفسه بالمعصية وظلمه لربه بالشرك والكفر ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣)، فإن بعضه مما لا يغفر وهو ظلم الآخرين وعدم تأدية حقوقهم والقيام بالواجبات تجاههم إلا بمعالجة كل هذه التقصيرات وتداركها وإلا فإن الحساب قاسٍ يوم القيامة ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره عز وجل، وظلم لا يغفره، وظلم لا يدعه، فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك بالله عز وجل، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه بينه وبين الله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد»[1].

وما دمت بخدمة أبناء العشائر اليوم فلا بد أن أشير إلى المظالم المؤلمة في الأعراف والقوانين التي تحكم علاقاتهم

(١) الكافي: ج٢ ص٣٣١.

خصوصاً ما يتعلق بالمرأة مع أن الحديث الشريف يقول «ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم»[1] فهي تعاني من قسوة التعامل داخل البيت وتحميلها ما لا تطيق، ومن أشكال الظلم (النهوة) التي تحرم المرأة من حق مقدس في الحياة وهو اقترانها بالرجل المناسب لها لمجرد أن أحد أعمامها نهى عن ذلك لا لشيء سوى الرغبة في الانتقام والإيذاء وهي من الشيطان.

وبعض العشائر من السادة تحرم بناتها من نفس الحق للمنع من تزويج غير السادة العلويين مما يؤدي إلى إعضال المرأة وتركها كشيء لا قيمة له في البيت في الوقت الذي يعطي الرجل (السيد) لنفسه الحق في التزويج بمن يشاء من النساء.

(١) كنز العمال: ج١٦ ص٣٧١.

فقدان العلماء يدعونا إلى التخطيط الجدي لإعداد البدائل[1]

صناعة العالم:

اعتاد المحتفلون برحيل أحد العلماء أن يستشهدوا بالحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «إذا مات العالم ثلم الإسلام ثلمةً لا يسُدها شيء الى يوم

(١) تقرير بتصرف لحديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع وفد مدينة الصويرة الذي زار سماحته يوم ٧/ ذ.ق/١٤٢٧معزياً بالذكرى الثامنة لاستشهاد السيد الصدر الثاني قدس سره ووفاة المرجع الديني في مدينة قم المقدسة الميرزا جواد التبريزي قدس سره الذي وافاه الأجل يوم ٢٨/شوال/١٤٢٧ المصادف ٢٠٠٦/١١/٢٠ عن عمرٍ ناهز (٨٣) عاماً، ومن حديث سماحته مع عدد من أعضاء أمانة حزب الفضيلة الإسلامي في محافظة بابل يوم ٨/ ذ.ق/١٤٢٧

القيامة»[1] وهو تعبير صادق عن عظم المصاب ونكبة الأمة بفقدان علمائها، ولكن بعض الأحاديث الشريفة لم تقف عند هذا الحد وإنما بيّنت للأمة كيفية سد هذه الثلمة بقوله «إلا خلف مثله»[2] ليعلّم الأمة أن عليها عدم الاكتفاء بالانفعالات العاطفية للتعبير عن شعورها إزاء هذه الخسارة وإنما عليها أن تعَّد وتهيئ البديل عن ذلك العالم الراحل ليقوم مقامه ويواصل مسيرته في تربية الأمة وقيادتها بحكمة نحو الكمال.

لا نبدأ بتهيئة العالم من وفاة العالم الذي قبله:

ولا يبدأ هذا الإعداد والتهيئة من حين وفاة العالم لان هذا الإعداد يتطلب ما لا يقلّ عن ثلاثين عاماً إلا لبعض الأفذاذ الذين توفرت لهم ظروف خاصة و

(١) المحاسن: ج١ ص٣٦٤.

(٢) الخصال: ص٥٠٤.

قابليات نادرة، ولا تستغرب من هذه المدة فإن درجة الاجتهاد الذي هو أحد شروط المرجعية وقيادة الأمة، وصفة العدالة التي تعني أعلى درجات السيطرة على أهواء النفس ونزغاتها والانضباط بتعاليم الشريعة حتى على مستوى المستحبات والمكروهات، وصفة الوعي والنضج والبصيرة بشؤون الأمة وتفاصيل الحياة وتجارب القادة وغيرها من الصفات والشروط مما يعُسُر إدراكه إلا بلطف الله تعالى وجهد طويل. ويمكن تقريبها على مهنة الطب فإن الطبيب يدرس ست سنوات في كلية الطب غير دراسته الابتدائية والإعدادية ثم يقيم سنة في المستشفيات و أخرى في القرى والأرياف ثم يعود إلى المستشفيات كمقيم أقدم ويمارس لوناً من ألوان الاختصاص مدة ثم يدرس عدة سنوات لنيل شهادة البورد في ذلك الاختصاص ويدرس ما بعد

الاختصاص ومع ذلك فانه لا يشار إليه ضمن الرموز الطبية المرموقة حتى يمارس اختصاصه عدة سنوات ويثبت كفاءة ومهنية عالية ونزاهة وإخلاص ليكون في مصاف المرجعيات الطبية، وقد تستغرق هذه الرحلة أكثر من ثلاثين عاماً منذ بداية التحصيل، هذا وهو يتعلق بطب الأبدان الذي مهما كان دقيقاً فانه يبقى محدوداً في تفاصيله ومساحة تأثيره فكيف بطب الأرواح ورعاية شؤون الأمة وقيادتها إلى الكمال والسعادة في الدارين.

على الحوزات أن تخطط لمستقبلها:

لذا فإن على الحوزات العلمية الشريفة أن تخطط باستمرار لمستقبلها وتحسب كل الاحتمالات فإن عدد المجتهدين اليوم الذي لا يتجاوز عدد الأصابع إنما هو حصيلة ألاف من طلبة العلوم الدينية

كانوا قبل أربعين عاما في النجف الأشرف فكم سيكون لدينا يا ترى من المجتهدين بعد عشرة أو عشرين عاماً مع هذا الوضع البائس الذي تعيشه الحوزة العلمية اليوم؟ هذه هي المسؤولية التي يجب أن نستشعرها ونتحملها باستمرار ويزداد الالتفات إليها والشعور بمرارتها في مثل هذه المناسبات حينما نجتمع لنتبادل التعازي بمناسبة رحيل العلماء العظماء.

وعي القيادة الرشيدة لزمانها:

حينما استشهد أستاذنا السيد محمد الصدر قدس سره في ٣/ذ.ق/١٤١٩ المصادف ١٩٩٩/٢/١٩ عشت ومعي كل المحبين والموالين عواطف جياشة أشرت إليها إجمالا في كتابي (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه)، ولكن ذلك لم يكن عائقاً عن التفكير في آليات العمل لما بعد ذلك الحادث الأليم حيث إن كثيرا من القنوات

التي تحرك بها السيد الشهيد قدس سره وعلى رأسها صلاة الجمعة أصبحت متعذرة فقد ابلغنا جلاوزة النظام ونحن في مجلس العزاء بمنع إقامة صلاة الجمعة في الكوفة، وقد كان بعض الأخوة معنا في المكتب رغبوا إليَّ في إقامتها باعتباره قدس سره قد اختارنا لإمامة الصلاة في مسجد الكوفة في حياته ويكون هو قدس سره أحد المأمومين فيكون من الأولى إمامتها بعد استشهاده، لكننا لم نجعل العواطف والانفعالات هي مصدر القرار و أمامنا تجربة الإمام السجاد عليه السلام حينما خطب في الكوفة بعد استشهاد أبيه الحسين عليه السلام ووبّخهم وعرّفهم بعاقبة فعلتهم الشنيعة فعرضوا عليه النصرة والثورة على ابن زياد ولكنه عليه السلام كان له دور طويل يؤديه خلال (٣٤) عاما ورسالة عظيمة يؤديها للأمة لا تبتني على ردود الأفعال العاطفية.

وقد عشتُ مثل هذا الضغط

الجماهيري الذي كان يطالبنا بالسير بنفس آليات السيد الشهيد قدس سره في تلك الأيام، إضافة إلى ضغط الطغاة والقتلة المجرمين الذين كانت سيوفهم تقطر دماً وتراقب الحركات و السكنات وتتحسب لكل خطوة وحركة.

إضافة إلى ضغط التقاليد والمعايير الحوزوية التي عانى منها السيد الشهيد الصدر قدس سره منها قبلي وحاصرته ومنعت جزءاً من عطائه.

ورغم كل ذلك فقد وضعت برنامجاً لعملي في تلك الأيام العصيبة على شكل نقاط ورؤوس أقلام تصل إلى العشرة ثم بعد أشهر وضعتُ تفصيلات هذه النقاط[1]

(١) طُبعت بعد سقوط النظام بكراس عنوانه (المعالم المستقبلية للحوزة العلمية) ويمكن ملاحظة تأريخ كتابتِها في نهايتهِ وهو لا يتضمن طبعاً مشاريع ما بعد سقوط النظام.

وسرتٌ عليها بمقدار ما يسّره الله تبارك وتعالى بلطفه وكرمه وحسن توفيقه وتفاجأ العالم كله بعد السقوط بسعة وقوة الحركة الإسلامية المباركة في العراق وما كان لذلك أن يتحقق ويستمر لولا رعاية الله تبارك وتعالى وتوفيقه لثلّة من عباده الصالحين العاملين المخلصين.

السيد الشهيد الصدر الثاني
وتصحيح المفاهيم[1]

تصحيح المفاهيم:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين..

السلام عليكم أيّها الحفل الكريم ورحمة الله وبركاته..

كثيرة هي المسؤوليات التي اضطلع بها السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره انطلاقاً من استشعاره لعظمة موقع نيابة المعصوم عليه السلام وسعة ما انيط به من أدوار في حياة الأمة.

---

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ (دام ظله) على الفضلاء والأساتذة في درس البحث الخارج يوم الأحد ٣/ذ.ق/١٤٣٢ المصادف ٢٠١١/١٠/٢ وألقيت بالنيابة عنه في الحفل التأبيني الحاشد الذي أقيم في اليوم السابق على قاعة المسرح الوطني ببغداد.

ونشير اليوم بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لشهادته إلى أحد تلك الأدوار وهو تصحيح بعض المفاهيم التي تؤثر في حركة الأمة، وذلك لأن كثيراً من الأعمال والسلوكيات يقوم بها أصحابها نتيجة لقناعة بنيت على فهم خاطئ لفكرة معينة، وقد تصل إلى حد ارتكاب الجرائم الشنيعة، ولو صحح المفهوم في أذهانهم لغيّروا طريقة حياتهم.

ومن أمثلتها اليوم ما تتعرض له البلاد من تخريب ودمار وقتل للأبرياء تحت عنوان المقاومة الذي هو بنفسه عنوان برّاق ومثير للحماس لكنهُ جُعِل غطاءاً لمثل تلك الجرائم، وغرّر بالكثيرين من البسطاء والجهلة والمخدوعين فانخرطوا فيه، وعنوان المقاومة بريء من هذه الأفعال المنكرة.

التصحيح مسؤولية العلماء والمفكرين:

فيكون حينئذٍ جزء كبير من الحل مبنياً على تصحيح هذه المفاهيم وإزالة الخلط والغموض، لما سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قتال الخوارج مع من بعده، قال عليه السلام: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي فإن من طلب الحق فأخطأه ليس كمن طلب الباطل فأدركه».

يقصد بالأول الخوارج وبالثاني من قاتلوه في صفين أي أن الخوارج ممن اختلطت عليهم الأوراق فظنوا أن ما يفعلوه حقاً فلا يجوز قتالهم إلا مع إمام الحق، أما البغاة عليه في صفين فيعرفون بطلان ما هم عليه، ويُنسب للسيد الخميني قدس سره قوله: (إن بعض ما يسميه الشباب استشهاداً هو انتحار).

فمن مسؤولية القادة والعلماء والمفكرين وصنّاع الرأي وثقافة الأمة أن يتصدوا لبيان المعاني الصحيحة

للمصطلحات وإزالة الغبار عنها، وهذا ما قام به السيد الشهيدقدس سره واذكر بعض الموارد لذلك.

مفهوم الانتظار في فكر الشهيد الصدر الثاني:

١-مفهوم الانتظار الذي اقترن في أذهان الأجيال بالسلبية والانكماش والتخلي عن ممارسة وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو في الحقيقة عكس ذلك إذ يتضمن معناه في بعده العملي السعي الجاد للإصلاح والتغيير والتمهيد لإقامة دولة العدل الإلهي، قالقدس سره (هذا الانتظار الكبير ليس إلاّ انتظار اليوم الموعود باعتبار ما يستتبعه من الشعور بالمسؤولية والنجاح في التمحيص الإلهي والمشاركة في إيجاد شرط الظهور في نهاية المطاف) وقالقدس سره (ونستطيع بكل وضوح أن نعرف أنه لماذا أصبح هذا الانتظار أساساً من أسس

الدين، لأنّه مشاركة في الغرض الأساسي لإيجاد البشرية، ذلك الغرض الذي شارك فيه ركب الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً).[1]

الاجتهاد في فكر الشهيد الصدر الثاني:

٢- (الاجتهاد) فإنه يعرّف مشهورياً بملكة استنباط الحكم الشرعي من مداركه الأصلية، وهو بهذا المقدار وإن كان كافياً لتحقيق إبراء الذمة أمام الله تبارك وتعالى في مقام العمل، إلاّ انه لا يثري مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولا يعمّق هذا العلم الشريف ولا يستطيع تقديم الإسلام كمشروع حضاري قادر على قيادة الحياة بكل شؤونها وتفاصيلها ومواجهة المشاريع والنظم الأرضية، ما لم ينضم إليه الإبداع والأصالة، لذا سمعتُه قدس سره يعرّف الاجتهاد (بالنابعية) أي القدرة

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٦٣.

الذاتية على التأصيل والتقنين، وليس الالتقاطية من آراء الأساطين وأفكارهم وانتقاء ما يطمئن إليه.

روى أحد المراجع المعاصرين قدس سره عن المحقق النائيني قدس سره أنّه سأل تلامذته يوماً عن الذي يحفظ كيان الحوزة العلمية، فأجابوا بأنّه الاجتهاد لكنه قدس سره صحّح لهم وأجاب بأنّه التحقيق، وتعرف من لحن كلامه قدس سره أنّه لم يكن يخاف من خلّو الساحة من المجتهدين، ولكنه يخشى عدم وجود محققين مبدعين فيهم، لأنّه قدس سره يدرك أكثر من غيره ان الذي يديم الحركة العلمية ويعمّقها هو التحقيق والإبداع والنابعية على تعبير السيد الصدر قدس سره.

وهذا المعنى تبنّاه من قَبلُ السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره فيُنقل عن أحد تلامذته المبرّزين أنّه استجازه في الاجتهاد فوعده بأنّه سيحصل على الملكة

بعد خمس سنوات من حضور البحث، وبعد انقضائها طلب السيد التلميذ تلك الشهادة، فقال قدس سره له إن هذه المدة كانت بلحاظ ملكة الاجتهاد على المستوى المتعارف، أمّا الاجتهاد بمستوى مدرسة الشهيد نفسه فإنّه يحتاج إلى مدة عشرين عاماً.

الجهاد والرسالية في فكر الشهيد الصدر:

٣-الجهاد الذي يتبادر منه مواجهة الطواغيت والسعي لتغيير نظام الحكم والانخراط في العمل الاجتماعي ونشر الوعي الإسلامي، ولا شك أن هذه أعمال مباركة ثقيلة الميزان عند الله تبارك وتعالى لكن بشرط أن تبنى على الإخلاص لله تبارك وتعالى، ولا يحصل ذلك إلاّ بعد جهد وجهاد طويلين في ميدان تهذيب النفس وتطهير القلب والسير في مدارج الكمال، أمّا الانهماك في العمل

الاجتماعي من دون النجاح في جهاد النفس فإنّه يجعل صاحبه من الأخسرين أعمالاً ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ الكهف ١٠٤.

لا تكتفوا بالجهاد الأصغر:

وقد أولى قدس سره هذا المعنى اهتماماً كبيراً وتذكيراً مستمراً وكان يرثي لحال الغافلين عنه، وهو معنى مأخوذ من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لسريّة من المقاتلين بالالتفات إلى الجهاد الأكبر ـــ وهو جهاد النفس ـــ وعدم الاقتصار على الجهاد الأصغر.

تربية النفس نقطة الانطلاق لإصلاح الآخرين:

ومن كلماته قدس سره في هذا المجال (وبحسب فهمي وتجاربي من الاتجاه الإسلامي الاجتماعي هو اهتمامه بمصالح المجتمع أكثر من اهتمامه بمصالح الفرد

أو قل: اهتمامه بتربية الآخرين أكثر من اهتمامه بتربية النفس مع العلم أن النفس التي لم تصل في التربية إلى درجة معينة فإنها لا تكون صالحة لتربية الآخرين بالمرة أو في حدود تربية ناقصة وفاسدة، ولن يكون التلميذ أحسن من أستاذه ما لم تدركه رحمة الله عز وجل أو حسن التوفيق، وهذا حسب فهمي من الأخطاء أو النقصان الذي عاناه ولا زال يعانيه الاتجاه الاجتماعي الإسلامي، الأمر الذي يجعل أفراده أقل صبراً وأضعف تحملاً من تحمل ما سيواجهون من مصاعب وبلاء في طريقهم الطويل.

وهناك نتيجة أخرى مهمة في هذا الصدد نفسه وهو أن الهدف الأعلى للاتجاه الاجتماعي الإسلامي دنيوي بطبيعته، وهو الذي يجعله الناس مشجعاً ومرغباً للآخرين في تحمل المصاعب والصبر على الشدائد، وانك ستنال شهرة

ومنصباً وقوة وكذا وكذا.. وسوف لن ينال الآخرون من خيراتنا ومن أنفسنا ومن التحكم فينا، ومع احترامي الشديد لهذه الأهداف، إلاّ أنها بطبيعتها دنيوية)[1].

الضعف أمام الدنيا:

وقال مستشهداً بكلام للسيد الشهيد الصدر الأول قدس سره منبهاً إلى النقص في التربية (وأريد أن أقول كلاماً أكثر صراحة، وهو ان التجارب السابقة مع المتدينين والواعين فيها وجدنا الأغلب منهم يتهاوون ويضعفون أمام الدنيا بمختلف الأسباب: أما المال أو الخوف في المجتمع أو التعذيب داخل السجون، وأكاد أقول: انه حتى كثير ممن قتل منهم إنما تم قتله بعد اخذ الاعتراف الكاذب

(١) من بحث بعنوان (في تربية الدين للنفس والمجتمع) نشرته في كتاب (الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما أعرفه) ص٢٩٧.

منه ثم إدانته المحكمة باعتبار اعترافه، ولم يكن صامداً على طول الخط !!

مراجعات الشهيد الصدر تجاه الفاعلين في الحركة الإسلامية:

(ولذا صدر من سيدنا الأستاذ ـــ يعني الشهيد الصدر الأول قدس سره ـــ : أننا استطعنا ان نربي الآخرين إلى نصف الطريق ولم يقل إلى نهايته لأنه لو كان الأمر كذلك، لما حصلت أي شيء من تلك النتائج).

ولو كان أولئك المتدينون قد أصلحوا أنفسهم قبل إصلاح الآخرين، ومارسوا المقدمات المنتجة لصفاء النفس ونور القلب وعمق الإخلاص وقوة الإرادة وعفة الضمير، لما عانوا ما عانوا بل ولعلهم لم يحتاجوا في الحكمة الإلهية إلى كل هذا البلاء الذي وقع عليهم، وإنما كانوا مع شديد الأسف مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد/٣٨) ولم

يكونوا مصداقاً لقوله تعالى ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾، وليس ذلك إلا لأن الأفراد التامين الجهات الكاملين الأوصاف الجامعين للشرائط عددهم قليل، وأقل من الحاجة بكثير).[1]

المرجعية الرشيدة حملت مسؤولية التصحيح:

هذه أمثلة وشواهد على قيام السيد الشهيد الصدر قدس سره بهذا الجزء من المسؤولية الملقاة على المراجع القادة.

ولقد سرنا على هذا النهج إذ أن الحاجة إلى هذا التصحيح أوسع اليوم وأخطر وأعقد حيث تحوّل الاختلاف في المفاهيم والمعاني إلى خلاف وتطور الخلاف إلى صراع وقتال يدفع ثمنه

(١) الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما أعرفه: ٣٠٢.

الأبرياء والشعب المستضعف المغلوب على أمره، فحرّرت في خطاباتي معاني لجملة من المصطلحات محل الخلاف والجدل كالطائفية والفدرالية والعلمانية والشراكة في الحكم وحقوق المرأة وحقوق الإنسان والحرية والديمقراطية وولاية الفقيه وغيرها مما هو مبثوث في المجلدات العديدة من كتاب (خطاب المرحلة).

أسأل الله تعالى أن ينوّر بصائرنا فيرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يرفع درجة الشهيدين الصدرين وكل شهداء الإسلام وينعم على هذا الشعب بالسعادة والازدهار.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

عوامل نجاح الحركة الإصلاحية المباركة للسيد الشهيد الصدر الثاني [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

لقد كان سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر الثاني قدس سره قائداً ناجحاً على أكثر من صعيد فقد استطاع بفضل الله تبارك وتعالى إيصال صوت الهداية والإيمان إلى أقصى مكان، وقلل من الانحراف والجريمة بدرجة كبيرة خصوصاً في مناطق وسط وجنوب العراق التي أقيمت

(١) كلمة ألقاها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في الحفل التأبيني الذي أقامه منتسبو مستشفى الصدر التعليمي في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٧ ذ ق ١٤٢٤ المصادف ٢٠٠٣/١٢/٣١.

فيها صلاة الجمعة، وأعاد للحركة الإسلامية نشاطها وحيويتها بعد أن جمدت روحها في الثمانينيات بعد استشهاد السيد الصدر الأول، وهز أركان النظام الطاغوتي وأسياده، وأدخل عليهم الرعب، وشد الجماهير إليه، ودخل قلوبها إلى حد العشق والفناء.

عوامل نجاح الشهيد الصدر الثاني:

فما السر في ذلك وما هي العوامل التي ساهمت في تحقيق هذا النجاح؟

عند تحليل شخصية السيد الصدر قدس سره وملاحظة الظروف المحيطة به نستطيع تحصيل عدة عوامل استعرضها باختصار لضيق الوقت، وهي في الحقيقة أسس نجاح كل قائد يريد أن يتصدى لإصلاح الأمة.

تهذيب النفس والسيطرة عليها:

١. تهذيبه لنفسه وسيطرته على غرائزها، وانتصاره على ذاته بحيث أصبح

هو يملك زمام نفسه، وليست هي التي تملكه وكان معروفاً بنكران الذات، وطالما كان يكرر أنه يدوس ذاته بقدميه، ونجح بدرجة كبيرة في الجهاد الأكبر مما سهل عليه النجاح في ساحة العمل الاجتماعي وهو الجهاد الأصغر، ومن كلماته قدس سره: إن النجاح في الجهاد الأصغر لا قيمة له إذا لم يقترن بالانتصار في الجهاد الأكبر، وهو معنى قرآني ذكرته كثيراً في كلماتي، وفي الحقيقة فإن أي شخص يراد تأهيله لتحمل المسؤولية لا بد له من المرور بهذه المرحلة حتى يصل إلى درجة الإمساك بزمام نفسه، وقد خاض قدس سره هذه التجربة العملية على يد أكثر من شخص، وذكر لي في رسائله التي قاربت المائتي صفحة[1] نكتاً من هذه التربية.

وكان يحب الموعظة لأن فيها إحياءً

(١) نشرت في كتاب (قناديل العارفين).

للقلوب كما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ولده الحسن عليه السلام: «يا بني أحيِ قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة»[1] فكان يحث على مطالعة كتب الموعظة كإرشاد القلوب ومجموعة ورام وعموم جوامع الأحاديث الشريفة كتحف العقول والخصال، ولقد كانت هذه سيرته منذ نهاية السبعينيات، وحدثني انه كان ملازما لأستاذه وابن عمه الشهيد الصدر الأول الذي كان يحترم هذا المسلك ويدافع عنه، بل التزمه في أيامه الأخيرة كما هو واضح من محاضرته الأخيرة عن حب الدنيا ضمن محاضرات السنن التأريخية في القرآن الكريم، وكان قدس سره يود أن يأخذ من كل شيء عظة وعبرة تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله فمثلاً: حيث يدخل إلى الحمام ويرى الماء الحار يقول صلى الله عليه وآله: «نعم البيت

(١) نهج البلاغة: الكتاب: ٣١.

الحمام يذهب الدرن ويذكر النار»[1]، وقد فصلنا شيئاً من الكلام في محاضرات (الأسوة الحسنة).

الارتباط بالله تعالى:

٢. ارتباطه بالله تعالى وإدامه ذكره وجعله الهدف الوحيد الذي يسعى من أجله، وقد انتقد في أحدى خطب الجمعة ما يفعله أئمتها من الاكتفاء بسطر واحد أو أقل من الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى ثم الخوض في موضوع الخطبة، أما هوقدس سره فكان ينقل مقطعاً من دعاء أو آيات قرآنية أو خطبة لأحد الأئمة عليهم السلام تعمق الصلة بالله تعالى وتعرف بصفاته الحسنى، وتبين حاجتنا وفقرنا إليه تبارك وتعالى، وكان مراقباً لله سبحانه، ومراعياً له في السر والعلن.

ومما أدبني به ما رواه عن أحد

(١) شعب الإيمان للبيهقي: ج٦ ص١٦٠.

العلماء: أنه دخل عليه شخص فرآه بزيه الكامل وهو جالس وحده في البيت فسأله عن ذلك، قال: لأني بحضرة الله تبارك وتعالى، وكان آخر لا يمدد رجليه حتى لو كان وحده لنفس السبب، ومما حكاه قدس سره لي عن سيرته: أنه مرة صلى ركعتين استغفاراً لأنه قال لشخص التقى به وكان غائباً عنه مدة: مشتاقين، وهي كلمة متعارفة، ويمكن أن تبرر إلا أنه خشي أن يكون كاذباً بهذه الدعوى.

وهذا ـــ أعني العمل لله تبارك وتعالى ـــ إحدى مميزات حركته عن قادة وعلماء آخرين عاشوا للإسلام، وأشربت قلوبهم حب الإسلام وهو عمل عظيم إلا أنه ليس كمن يعيش لله تبارك وتعالى، وبينهما فرق أوضحته في محاضرة سابقة، وهذا التعلق بالله تبارك وتعالى والإخلاص له ومحبته تجعل الشخص يفيض نوراً على الآخرين، ويلقي الله

محبته وهيبته وتأثيره في قلوب الناس، وفي الرواية عن عن علي عليه السلام انه قال: «من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة من غير سلطان، وغنى من غير مال، وطاعة من غير بذل، فليتحول من ذل معصية الله إلى عز طاعته، فإنه يجد ذلك كله»[1]، وفي الحديث القدسي: «ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء فرائضي وإنه ليتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته»[2] فيكون دليلاً للخلق إلى الله تعالى.

معايشته للقرآن الكريم:

٣. معايشته مع القرآن وتفاعله مع مضامينه، ففي وقت مبكر من حياته كان

(١) امالي الطوسي: ص٥٢٤.

(٢) كنز العمال: ج١ ص٢٣٠.

له دفتر يسجل فيه ما ينقدح في ذهنه من نفخات أثناء تلاوته للقرآن، ويثبت فيه الآيات التي توحي له بخلق قرآني أو موقف إزاء حال معينة أو سلوك عليه أن يطبقه، وفي مرحلة أخرى أخبرني أن له نسخة من المصحف ثبت على هوامش صفحاته القراءات المتعددة للكلمات القرآنية، وقال قدس سره: إنه كان يستفيد من هذه القراءات معاني لا توحيها الكلمات المرسومة، وأحياناً تحل له معضلة فقهية لا ينسجم حلها مع القراءة الموجودة لكنها تنسجم تماماً مع قراءات أخرى، وختم حياته قدس سره وهو يلقي محاضرات (منة المنان في الدفاع عن القرآن)، ويمكن مراجعة كتاب (شكوى القرآن) لتطلع على بركات الحياة في ظل القرآن ودوره في صنع القادة والمصلحين.

دراسة سيرة الأئمة (عليهم السلام) بدقة:

٤. دراسة سيرة الأئمة عليهم السلام بدقة وعمق وشمولية لمعرفة أدوارهم التي أدوها والمسؤوليات التي قاموا بها، وكيف كانوا يتخذون المواقف المناسبة اتجاه مختلف القضايا، ومن حكمة الله تعالى وعظيم مننه على الأمة جعل أدوارهم تجربة للأمة وظروفهم مختلفة ومدة إمامتهم طويلة (مائتين وخمسين عاماً) لتنضج تجربة الأمة وتحصل على كل ما تريده من سيرتهم المباركة، فعرف قدس سره متى ينكمش ومتى يتحرك، وماذا عليه أن يفعل، وكيف يتعامل مع الآخرين أفراداً أو طوائف أو سلطات، فبينما يكتب لي في منتصف الثمانينيات وكنت شاباً متحمساً للعمل الإسلامي فيقول: إننا في ظروف لعلها أشد من ظرف الإمام الحسن عليه السلام، وحاجته إلى الصمت والتقية تجده في سنته الأخيرة يقود تحركاً جماهيرياً مليونياً

في وجه نفس السلطات العاتية.

الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم:

٥. الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم، لأن العلم من الركائز الأساسية في بناء شخصية القائد المصلح حتى بلغ أسنى درجاته ونال ملكة الاجتهاد. كان يقول إنني اشتغل حوالي ثمان عشرة ساعة في اليوم بالدراسة والتدريس والكتابة والتأليف، وقال مرة قدس سره: إنه أثناء اشتغاله بتأليف موسوعة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف كان ربما يكتب أربعين صفحة في اليوم الواحد وهو إنجاز ضخم يعرفه من مارس عملية التأليف والكتابة، وحتى حينما يذهب إلى بغداد لكي تزور زوجته أهلها فإنه لا يضيع الوقت بل يقضيه بالكتابة والتأليف، وقد أجمع زملاؤه وأقرانه على جده حيث بدأ بدراسة العلوم الدينية وانتمى إلى كلية الفقه سنة ١٩٥٧ وهو في

الرابعة عشر من العمر بعد امتحان أجراه له عميدها المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر وكان متفوقاً على أقرانه.

عدم الانفصال عن الواقع:

٦. عدم انفصاله عن واقعهِ وما يجري فيه ومواكبته له،فتراه مثقفاً بثقافة العصر ويتابع تطوراته العلمية والسياسية والاجتماعية، ففي الثمانينيات نصحني بقراءة مجلة (علوم) العراقية التي كانت تعني بأحدث أخبار العلم وانجازاته، وكان يهمه منها أكثر باب العلوم الباراسايكولوجية لأنها أولاً تنسجم مع توجهاته النفسية وتعلقه بما وراء المادة، ولأن فيها حسب تعبيره لطمة للمادية الغربية التي تؤمن بالمادة والمحسوسات فقط.

وكان يستمع إلى الإذاعة ويطلع على ما يدور في العالم حتى حصلت عنده

رؤية رصينة للأحداث. ومن بحوثه التي كتبها وأهداها لي ـــ وهي محفوظة لدي ـــ بحث بعشرات الصفحات بعنوان (فلسفة الأحداث في العالم المعاصر والدروس والعبر المستفادة منه)[1]، وقد علقت عليه وأضفت إليه مثله فرغب إليَّ في أن أضمهما في كتاب.

وكان مهتماً بأخبار الجمهورية الإسلامية في إيران وخطابات قائدها العظيم السيد الخميني قدس سره، ويستمع مباشرة باللغة الفارسية، وقال قدس سره في ذلك: لأنه تجري على لسانه نكات عرفانية وأخلاقية لا تعرضها الترجمة التي تهتم بالمقاطع السياسية والمتعلقة بالعمل الاجتماعي.

وبعد تحرير الجمهورية الإسلامية

(١) طبع في كتاب (الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما أعرفه).

لأراضيها من القوات العراقية في معركة (المحمرة) في آيار ١٩٨٢ وانتقال العمليات الحربية إلى الأراضي العراقية في تموز ١٩٨٢ سارت الحرب سنين عجاف رتيبة ثقيلة باهظة التكاليف بشرياً واقتصادياً، فكان من وجهة نظره قدس سره: أنه لا جدوى من استمرارها لأنه استنزاف لطاقات بلدين شيعيين (وهو توجه السيد الخامنئي رئيس الجمهورية آنذاك)، وعارضه الرأي القائل بضرورة استمرارها حتى القضاء على المعتدي ومحاسبته وكان قدس سره يتخذ الموقف الأول بينما كنت مع الثاني وأردد ما كان يقوله الساسة الإيرانيون الآخرون كالرفسنجاني والأردبيلي وتبناه السيد الخميني قدس سره: أن السلم المفروض أسوأ من الحرب المفروضة، فطلب مني أن نفتح حواراً عبر المراسلة طبعاً ـــ لأنه كان تحت الإقامة الجبرية ـــ لمناقشة الرأيين فكتبت بحثاً

بعنوان (نظرات في الحرب والثورة) وقد أتلفته حين داهمتنا القوات الصدامية عقب الانتفاضة الشعبانية المباركة.

نزوله الى المجتمع ومخاطبته لجميع الناس:

٧. نزوله إلى المجتمع ومخاطبته لجميع الناس بما يناسبهم وعدم الابتعاد عنهم فقد كان، إلى حين تصديه للمرجعية يذهب بنفسه إلى السوق ليوفر الحاجات المنزلية، وكان يحب أن يطلع على آلام المجتمع وآماله وهمومه من دون أن يتخذ حاجباً أو (سكرتيراً).

نقل أحدهم: أنه قلد السيد الصدر قدس سره بسبب الطماطة، قيل له: وكيف؟

قال: لأني سألت عدداً من المراجع وأنا أبحث عمن أقلده كم هو سعر الطماطة في السوق، فكان جوابهم جميعاً هو الزجر وان هذا ليس من اختصاصنا، إلا السيد الصدر فقد أجاب بالتفاصيل عن

سعر الجيدة منها والرديئة فعلمت ـــ والكلام له ـــ إن هذا هو الرجل الذي يصلح لقيادة الأمة، وسواء صح هذا أو لم يصح لكن المهم أنه يعبر عن آلية للإيمان بالقيادة وصلاحيتها كما نقل عن ابن سينا وهو الفيلسوف العظيم: اللهم إيماناً كإيمان العجائز، أي أن هذه الوسائل الساذجة للإيمان بالحقائق قد تكون اثبت في القلب والنفس من طرق الاستدلال العقلية المتضخمة بالإشكالات والشبهات.

وقد رأينا في صلاة الجمعة كيف يتحدث بلغة المجتمع فيفهمه المجتمع ويشاركهم الحر والبرد ويعيش في أوساطهم بلا تمييز عنهم، ويشمل بخطاباته كل شرائح المجتمع فخاطب الحوزة والعشائر والمسؤولين السياسيين والديانات الأخرى حتى الغجر بحيث أحس الجميع انه منهم فيتأثرون به ولا يشعرون بالغربة والانفصال.

استثمار طبيعة العلاقة مع السلطة:

٨. استثماره لطبيعة العلاقة مع السلطة الحاكمة التي شعرت بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة وامتداد الحركة الإسلامية في العراق، بالحاجة إلى الحوار مع المرجعية الشريفة والانفتاح عليها وتخفيف القبضة الحديدية عن بعض ممارساتها الدينية لكي تتجنب حصول ثورة شعبية عارمة قد لا تنجو منها هذه المرة، ولكي تبقي على وجود للقيادة الدينية في النجف لأن انحسارها التام يعني رجوع الشيعة في العراق إلى القيادات الدينية في إيران، وفي ذلك خطر عظيم عليهم، لذا كانوا حساسين جداً من مقولة انتقال الحوزة إلى قم المقدسة، وحريصين على عدم حصوله.

وهاتان الحاجتان كانتا تمسكان يد النظام بدرجة من الدرجات عن التعرض لبعض النشاطات الإسلامية للحوزة، في

حين لم تكن تسمح بها أولاً ولا بأقل منها قبل ذلك فاستثمر السيد الشهيد قدس سره هذا الوضع لينطلق بمشاريعه الاجتماعية، وكانت قمتها صلاة الجمعة، وحينما كان يحذر من بعض الخطوات التي يراها العارفون ببطش النظام أنها تؤدي إلى الخسارة كان يقول قدس سره: إنما السلطة لنا كإشارات المرور، فنحن نسير حتى تشعل لنا ضوءاً أحمر فنقف ثم نتقدم وهكذاً.

هذا الاستغلال الدقيق الواعي للعلاقة مع السلطة أتاح الفرصة لانجازات عظيمة، في حين أن المتعارف على التصرف الشيعي أمام السلطات، أما المواجهة غير المتكافئة والتي نتيجتها إهلاك الحرث والنسل وإزهاق أرواح المؤمنين الذين تعبت أجيال من العلماء على تربيتهم، والذين يقول فيهم السيد الخميني قدس سره فيما ينقل عنه: (أن بعض ما يسميه الشباب استشهاداً هو انتحار)، أو الانكماش

والانسحاب الذي يفوت الكثير من المصالح، أو الخضوع للحكام والانسياق وراء رغباتهم وفي ذلك تضييع الدين وأهله.

هذا بعض ما استطعت أن أدوّنه بهذه العجالة، وهي أفكار ينفتح منا ألف باب لأولي الألباب.

أسأل الله تعالى أن يتغمد شهداءه خصوصاً العلماء الأعلام بالرحمة الرضوان، ويأخذ بيد الأمة والحوزة الشريفة لتسير على منهاجهم وتأخذ

المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر الثاني [1]

تعريف المشروع السياسي:

س١: ونحن نعيش ذكرى استشهاد السيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره نود أن نتحدث عن موضوع المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر الذي هو خافٍ عن الكثيرين نسأل هل كان للسيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره مشروع سياسي باعتباركم كنتم قريبين من سماحته منذ منتصف الثمانينات؟

(١) تقرير بتصرف للحوار الذي أجرته قناة العراقية الفضائية مع سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) يوم الجمعة ٢/محرم/١٤٢٩ المصادف ٢٠٠٨/١/١١ وعُرض في الذكرى التاسعة لاستشهاد السيد الصدر الثاني قدس سره يوم ٢٠٠٨/٢/١٩.

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، من الواضح أن للسيد الشهيد الصدر قدس سره مشروعاً سياسياً أو على الأقل له عمل سياسي وهذا ليس خافياً على أحد، نعم قد تكون معالمه أو تفاصيله خفية، أما أصل الموضوع فهو ثابت وقد دفع حياته الشريفة وحياة ولديه ثمناً لهذا النشاط وقد أثمر مشروعه المبارك في نخر كيان صدام وزمرته بحيث عاد خاوياً متهالكاً سقط في أول صفعة وُجهت له ٢٠٠٣.

ولكي نفهم مشروعه السياسي علينا أن نعرف معنى هاتين المفردتين (المشروع والسياسة) فأنني اسمع أنهم يعرّفون السياسة بأنها فن الممكن وهذا التعريف غير دقيق فان الإنسان لا يستطيع أن يأتي إلا بالممكن في جميع حقول الحياة وليس في الحقل السياسي فقط، لذا فأنني اعرّف السياسة بأنها (فنّ رعاية المصالح العامة) وهذا التعريف ينطبق على معنى السياسة

في الإسلام باعتبار أننا نخاطب الأئمة المعصومين عليهم السلام بأنهم (ساسة العباد) أي أنهم الراعي الأول لمصالح العباد، وينطبق على معنى السياسة عند العلمانيين الذين يقولون (لا توجد صداقات ثابتة ولا عداوات ثابتة وإنما توجد مصالح ثابتة).

نعم يختلف هذا التعريف بين المعسكرين في تفاصيله ومتعلقاته فالمصالح التي ترعاها السياسة الإسلامية هي مصالح العباد والبلاد من دون تفريق بين أحد وآخر مهما كان دينه وقوميته ولونه وجنسه بينما المصالح عند السياسة غير الإسلامية هي المصالح الشخصية والفئوية.

ويختلفان مثلاً من حيث الأُطر المحددّة لآليات العمل والبرامج فالسياسي الإسلامي يؤمن بمبادئ ثابتة لا يتجاوزها مهما كانت النتائج لأنه يعتقد بوجود الآخرة والحساب على الأعمال بين يدي

الله تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يفرّط بآخرته من اجل دنيا زائلة، وقد شرحنا هذه المبادئ في خطاب (المبادئ الثابتة في السياسة)، بينما السياسي الآخر لايتحدد بمبادئ وإنما يؤمن بالميكيافيلية وان الغاية تبرر الوسيلة والوقائع الكثيرة تشهد على أنهم لم يتورعوا عن إزهاق ملايين الأرواح وتدمير الحياة من اجل إشباع نزواتهم وإتباع أهوائهم وشهواتهم.

أما (المشروع) فيعني البرنامج الذي يضع لنفسه أهدافاً يسعى لتحقيقها وآليات يتبعها للوصول إلى ذلك الهدف فلا مكان فيه للعقوبة والارتجالية والتصرفات غير المحسوبة.

وحينئذ أقول في الجواب أن السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره لم يكن يصرّح أو يستطيع التصريح بأن له مشروعاً منتظماً للوصول إلى أهداف محددة وكان يكتفي بالعموميات ويخفي مراده أحياناً ما بين

السطور، لان السلطة المعروفة ببطشها وقسوتها ستقضي على مشروعه وهو في المهد لان أي عمل منظم تشعر بأن فيه تهديداً لكيانها ولو كان باحتمال ضئيل جداً فأنها تفتك به حيث كان صدام يقول (إنني اقتل عشرة ألاف من دون أن يرفّ لي جفن) وإنما صَبَرت السلطة زمناً ما على حركة السيد الشهيدقدس سره لأنها تعتقد فيها أنها حركة عفوية عاطفية غير منتظمة في مشروع، وقد تعمّد السيد الشهيدقدس سره إيقاعها في هذا التصور حينما سُئل في بعض لقاءاته المسجّلة عن خطوته اللاحقة قال (أنني لا اعلم ماذا أفعل غداً، وكل ما في الأمر انه عندما يأتي الغد أجد نفسي مقتنعاً بأن أقوم بفعل ما) وهوقدس سره يعلم ان هذه الكلمات تصل إلى السلطة لأنها تتابع بدقّة ما يصدر عنه من كلمات وخطب ومنشورات وتحللها.

قيادة الحركة الإسلامية في ظل البطش الصدامي:

س٢: هنا يتبادر الى الذهن سؤال كيف استطاع سماحة السيد الشهيد أن يبدأ بمشروعه السياسي حتى وإن كان بشكل غير مباشر في ظل وجود سلطة ونظام قمعي سيما وان سماحته كان معتقلاً عند الأجهزة القمعية حيث كان مراقباً ومحاصراً؟.

ج: أظنّك تقصد اعتقاله في الانتفاضة الشعبانية في آذار/١٩٩١ وهو ليس اعتقاله الوحيد فقد اعتقل عام ١٩٧٤ في مديرية امن الديوانية ضمن حملة شملت الكثير من طلبة السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره ومكث فيها حوالي أسبوعين وقد تحدث لي في بعض رسائله عمّا جرى له، هذا مضافاً إلى الإقامة الجبرية التي فرضت عليه عدة سنوات في الثمانينات، وهذا كله لتأكيد كلامك عن قساوة الظروف

المحيطة بالسيد الشهيد قدس سره ومعرفته الجيدة بها لطول معاناته منها لذا فقد تطلبت حركته الكثير من الحكمة حتى يكسب اكبر مدة زمنية تمكّنه من تحقيق أفضل النتائج.

ولا شك ان لطف الله تبارك وتعالى كان يرعاه ويحفظه وسلّمه من تلك المحن إذ لم يتبق في داخل العراق من طلبة السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره المعروفين والمؤهلين لمواصلة مسيرته المباركة إلا هو، وما دام قد ادّخره الله تبارك وتعالى لهذا الدور فلابد أنه سيحظى بلطف ورعاية إلهية خاصة.

وقد استطاع قدس سره بحكمته ونظرته الثاقبة أن يتعرف على واقع السلطة القائمة وما تفكر به والأساليب التي يمكن اتباعها من دون استفزازها، وعرف الكثير منها أيضاً خلال استجوابه في معتقل الرضوانية بعد الانتفاضة وحقق معه عدد من كبار

الضباط. كما نقل لي قدس سره وعرف من خلالها السياسة الجديدة التي سيتبعها النظام مع المرجعية والحركة الإسلامية وعموم علاقته بالشعب العراقي، والتي بدت واضحة على تصرفات النظام مع المرجعية والحوزة العلمية والشباب المؤمنين خلال التسعينات.

لذا استطاع قدس سره أن يسحب البساط بهدوء من تحت النظام ويفقده قدرته على السيطرة على ضبط الجماهير إلى أن تفاجأ النظام بحركته وقرر قراره المشؤوم، وقد جمعني به قدس سره لقاء خاص بعد أيام من الزيارة الشعبانية التي دعا الجماهير فيها إلى السير مشياً إلى كربلاء واندفع المؤمنون بحماس بالغ مما دعا النظام إلى تهديده بالقتل، فسحب الأمر عشية اليوم الذي كانت مدينة الصدر ومناطق أخرى من بغداد قد عقدت العزم على التوجه فيه بشكل مواكب بالآلاف إلى كربلاء وهو

يوم الثلاثاء ١١/شعبان/١٤١٩، وقلت له في ذلك اللقاء أن هذه الحركة رافقتها فعاليات تصعيدية في مواجهة النظام مما يستفزّه ويدفعه إلى اتخاذ قرارات قاسية، والأجدى الاستمرار بالطريقة الهادئة في سحب البساط من تحتها، وأن منبر الجمعة وحده كافٍ لتقويض أركان النظام، قالقدس سره: ((نعم وقد سحب البساط من تحته بنسبة ٧٥٪، ولكنني لست مسؤولاً عن هذه التصعيدات فإنني لم أأمر بها)) وكان مقترحي أن لا يخرج أبناء بغداد على شكل تجمعات ضخمة لأن ذلك يقلق النظام ويفشل المشروع فلو خرجوا على شكل مجاميع صغيرة وقد شرحقدس سره مبرر خروجهم في مواكب ضخمة وبصراحة فقد كنت أعتقد أن النسبة التي قالهاقدس سره مبالغٌ فيها.

استثمار نتائج الانتفاضة الشعبانية المباركة:

س٣: هل افهم من كلام سماحتكم ان السيد الشهيد قدس سره استثمر التغيير الحاصل في سياسة النظام أبان الانتفاضة الشعبانية؟

ج: نعم فقد أفرزت الانتفاضة عدة نتائج مهمة من كسر حاجز الخوف والرعب الذي كان يملك بها النظام نفوس الناس أكثر من مؤسساته ورجاله، وأثمرت الانتفاضة شجاعة كبيرة لدى الشعب، وازدهر التوجّه الديني وأصبحت النجف الأشرف والحوزة العلمية ومكاتب المرجعية تشهد إقبالاً واسعاً من الناس، وتصاعد الوعي الإسلامي وتداول الكتب والنشرات بما فيها الممنوعة التي كانت تستنسخ سراً، وهذه العوامل وغيرها دفعت النظام إلى ان يغيّر سياسته مع الحركة الدينية على الصورة التي تعامل بها مع الحركة إبان مواجهتها للسيد

الشهيد الصدر الأول قدس سره فتغيّر سياسة النظام ليس لأنه تغيّر في نفسه وإنما اضطر لمجاراة الوضع الجديد الذي تميّز بانطلاقة قوية وواسعة للحركة الدينية.

المرجعية والعمل السياسي:

س٤: المعروف إجمالاً في الأوساط الحوزوية عدم تدخل المرجعية في الشؤون السياسية وعادة ما تنأى الحوزة العلمية نفسها عن الأوساط السياسية، فما الذي دفع السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره لممارسة دور سياسي والخروج عن هذا التقليد المتعارف.

ج: أفهم من كلامك أنك تجعل القاعدة في تصرف المرجعية والحوزة العلمية هو الابتعاد عن السياسة والشؤون العامة بحيث تكون ممارستها استثناءاً، والصحيح هو العكس فان الأصل في الشريعة الإسلامية أن يتصدى العلماء

لرعاية شؤون الأمة وعلى رأسها ممارسة الدور السياسي، وأن الاستثناء هو التخلي عن هذا الواجب فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام أكمل القادة والسياسيين، ونَصِفُ المعصومين عليهم السلام في زيارة الجامعة الكبيرة بأنهم (ساسة العباد) وفي الروايات «المتقون سادة والفقهاء قادة» وفي الأحاديث الشريفة أيضاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم».

وقال السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره في بعض خطبه التي أثنى فيها على (الحوزة الناطقة) ويعني بها الحوزة المتحركة والتي لها شعور واسع بالمسؤولية تجاه كل شؤون المجتمع، قال فيها أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام هم من الحوزة الناطقة،

وقد تميّز في تاريخ المرجعية الدينية خطابان: أحدهما يمثل الحوزة الناطقة التي انهمكت في العمل السياسي النقي الصالح إضافة إلى مسؤوليتها العلمية والدينية والاجتماعية وثانيها الذي انغلق على نفسه واكتفى بالشؤون العلمية والفتوى، وكان السيد الشهيد يعلن انتماءه إلى الخط الأول كأستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره والسيد محسن الحكيم والميرزا النائيني الذي آزر أستاذه الآخوند الخراساني في حركة الدستور المعروفة بالمشروطة أوائل القرن الماضي.

وقال لي مرة في بعض رسائله انه قال لأستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره أن المحقق الحلي (وهو من أعاظم فقهاء الشيعة كان في القرن السابع الهجري في مدينة الحلة ويُدَّرس كتابه شرائع الإسلام في الفقه إلى الآن) كان من العلماء الواعين ـــ وهو تعبيره السابق عن الحوزة

الناطقة ـــ فأيّده الشهيد الصدرقدس سره في ذلك.

فحينما تسأل عن دوافع الشهيد الصدر لممارسة هذا الدور فلأنه من صميم مسؤولياته التي يؤمن بها ويرى لزوم القيام بها قال أمير المؤمنينعليه السلام «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم أو سغب مظلوم» إلى آخر الكلام.

فالقيام بهذا الدور أمانة في أعناق العلماء، مضافاً إلى عوامل أخرى أثّرت في شخصيته ودفعته في هذا الاتجاه ومنها

١. تأثره بأستاذه الشهيد الصدرقدس سره واهتمامه باقتفاء أثره في كل شيء.

٢. إن الإصلاح الواسع الذي كان يريد إحداثه في حياة الأمة لم يكن ممكن التحقيق والتأثير في الأمة إلا بالانخراط

فـي العمـل السياسـي وتحـدي السـلطة وتنبيهها إلى المظالم التي ترتكبها.

٣. طيبة قلبه وحبّه الخير لجميع النـاس وقوة قلبه في نفس الوقـت ممـا جعلـه لا يقرّ له قرار حتى يبذل كل ما فـي وسـعه لإنصاف المظلومين ومساعدة المحتـاجين ونصرة المحرومين.

وكان يدعو الناس إلـى التأكيـد علـى صفة طيبة القلب وقضاء حوائج المـؤمنين وإنفاق الأموال على مسـتحقيها لا (فيـافي بني سعد) في المرجعية التي يتّبعونها بعـد إحراز الاجتهاد والعدالة طبعاً وكان يركّـز على هذه الصفات في البديل الذي يخلّفه.

ولرحمته الكبيرة فقـد خاطـب جميـع شرائح المجتمع حتى الغجـر فـي خطبتـه الأخيرة في الجمعة التي استشهد فيها.

ما الذي دفع الناس إلى اتباع السيد الشهيد الصدرقدس سره:

س٥: عذراً للمقاطعة سماحة الشيخ، هل أن ما تفضلتم به من البساطة في المعيشة والتعامل مع الجماهير هو الذي دفع الكثير من الجماهير أن تؤمن بفكر السيد الشهيد الصدر**قدس سره** حيث التفّت الأوساط الشعبية حول مرجعيته وبدأت تتفقه في الدين؟

ج: هذا أحد الدوافع؛ لأن الشرائح التي آمنت بحركة السيد الشهيد**قدس سره** واتبعته متنوعة وكلٌ منها ينطلق من فهمه الخاص له**قدس سره** فالحوزة العلمية رأت فيه العالم المبدع وكان درسه في الأصول مما يحتج**قدس سره** به لإثبات أعلميته ورسالته العملية في الفقه، والمثقفون والمفكرون اتبعوه لما لمسوا فيه من فكر خلاّق وقدرة على الدراسة والتحليل والموسوعية، والطبقة العامة أمنت به

لمواساته لهم ودفاعه عنهم وسعيه المخلص لإصلاح حالهم في الدنيا والآخرة، والسياسيون عقدوا عليه الآمال لأنهم وجدوا فيه المشروع الحقيقي لإزالة الطاغوت.

معالم المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر:

س٦: ما هي معالم المشروع السياسي الذي تبناه السيد الشهيد الصدر قدس سره؟

ج: يمكن أن نذكر على نحو الاختصار جملة من المعالم العامة لمشروعه السياسي.

١. إنه مشروع إسلامي يستند إلى الإسلام في قراراته وآليات عمله والمبادئ التي تؤطر حركته فلا مجال فيه للبراغماتيه المحضة المتجردة من المبادئ.

٢. إنه وطني فلم يقتصر في خطابه على أتباعه ولا على الشيعة فقط. بل وجّه خطابه إلى أبناء السنة وأمر بإقامة صلوات

الجمعة الموحّدة وخاطب كل شرائح المجتمع بغضّ النظر عن انتمائهم والمتابع لخطبه يجد الكثير منها مخصصّة لشرائح معينة وكان آخرهم الغجر الذين وجّه لهم خطاب الإصلاح والهداية في الجمعة التي استشهد في مسائها وفي تلك الخطبة عدّد الشرائح التي خاطبها.

وحينما نقول إن مشروعه وطني فهذا لا يعني الانغلاق على بلده العراق فقط لأن رسالة الإسلام عالمية ولكن المتاح له كان ذلك مضافاً إلى أن المشروع الإسلامي العالمي لابد له من حاضنة وقاعدة يستند إليها وينطلق منها كما كانت المدينة المنورة قاعدة انطلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وستكون الكوفة عاصمة الدولة العالمية المباركة التي يقيمها الإمام الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣. الجماهيرية وإشراك عامة طبقات الشعب في الحركة فلم يقتصر في خطابه

ومشروعه على النخب بل تحدّث إلى جميع الناس مباشرة خصوصاً بعد إقامة صلاة الجمعة.

٤. أصالة المرجعية الدينية وهذه نقطة مهمة إذ يوجد خلاف بين السياسيين الإسلاميين حاصله أنه من هو الأصل ولمن مرجعية القرار هل للمرجعية الدينية ويكون دور الحزب التنفيذ والعمل ضمن توجيهات المرجعية أم أن الأصل هو الحزب فهو الذي يقرر وينفذ ويكون دور المرجعية تقديم النصائح غير الملزمة.

وكان قدس سره يعيش تجربة مرة من بعض الأحزاب الإسلامية الشيعية التي تأسست برعاية المرجعية ثم خلفتها وراء ظهرها وأعطت لنفسها الحق في القيمومة على آراء المرجعية.

ولإعادة العمل السياسي الإسلامي الى مساره الصحيح فقد أصّل قدس سره للرجوع الإلزامي إلى المرجعية الدينية ورسّخ هذه

الثقافة وكانت كلمته المشهورة (لا تقولوا قولاً ولا تفعلوا فعلاً إلا بالرجوع إلى الحوزة العلمية) وهو قدس سره لا يقصد بالحوزة كل من وضع العمامة على رأسه ودرس بعض العلوم وإنما يريد بها المرجعية الدينية المتمثلة بالمجتهد العادل العارف بشؤون زمانه لذا وصف في بعض كلماته الشخص الذي يقود الناس وهو ليس بمجتهد بـ(الكحف) وهو قشر الفاكهة الذي يرمى مع الفضلات.

وقد بنى تأصيله هذا على ما نؤمن به من الآخرة والحساب ومسؤوليتنا أمام الله تعالى والتي لا يحق لأحد النظر فيها واستنباط أحكام الحالات المختلفة من مصادر التشريع الإسلامي الأصلية والإنسان قبل أن يكون سياسيا هو شخص مكلّف أمام الله تبارك وتعالى بواجبات وعليه حقوق.

وحتى على المقاييس الطبيعية فان المرجعية هي أولى الناس بالقيادة لاكتمال صفاتها فيها، فمن حيث العلم بالقانون المنظم للحياة تمثل المرجعية أرقى درجاته بحصول ملكة الاجتهاد وقضاء عشرات السنين في البحث والتدريس والتأليف والحوارات العلمية، ومن حيث النزاهة فهي في أعلى درجات ضبط النفس وكبح شهواتها وملك زمامها والورع والزهد الذي نسميه بـ(شرط العدالة)، ومن حيث الخبرة فان المرجعية تمضي عشرات السنين في التحرك في أوساط المجتمع والاتصال بكل طبقاته وتلقي أنواع المشاكل والمقترحات والمشاريع والأفكار، فما الذي يمنع السياسيين من أعطاء المرجعية دورها الذي تستحقه؟

ولكي يطمئن السياسيون ونزيل مخاوفهم من تدخّل المرجعية في تفاصيل

عملهم نقول: إن المرجعية تعرف المساحة التي تتحرك فيها والمساحة التي تتركها للآخرين لأنها لا تدعي المعرفة بكل شيء ولا أنها محيطة بكل التفاصيل كما ورد في الحديث «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه حتى لا يوردها موارد الهلكة».

النشاطات السياسية للسيد الشهيد الصدر:

س٧: ما هي أبرز النشاطات والفعاليات التي قام بها سماحة السيد الشهيد قدس سره لتكون مصاديق لمشروعه السياسي؟

ج: إذا أردنا أن يكون الجواب أكثر فائدة فتقسم هذه الفعاليات إلى مراحل:

الأولى: في حياة أستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره وقد اختصرها قدس سره في بعض رسائله لي بأن عمله هو أتباع السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره فيما يقول ويفعل ويوجّه، واعتقل خلال هذه المرحلة عام ١٩٧٤ في مديرية أمن الديوانية حوالي

أسبوعين، لكنه لم ينتمِ إلى (حزب الدعوة) وقال قدس سره في سبب ذلك: أنني وجدت الحياة التي يجسدها المتحزبون فيها (أنانية حزبية) فما الذي جنيناه أذن حين نخرج من أنانية الفرد ونقع في أنانية الحزب.

وحينما سألته في بعض الرسائل عن عدم قيامه بدور قيادي بارز عند تصاعد حركة السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره في نهاية السبعينات فأرجعه إلى أمرين

أ- تأثير والده المرحوم السيد محمد صادق الصدر قدس سره عليه والذي كان له تأثيره حتى على الأول قدس سره.

ب- انصرافه يومئذ إلى تهذيب نفسه وأتباع منهج أهل العرفان فابتعد عن الانهماك في العمل الاجتماعي الواسع.

الثانية: عقد الثمانينات: حيث انزوى في بيته بعد استشهاد أستاذه الصدر قدس سره ولم يكن يخرج إلا لضرورة وبعد أن

شنت حملة جائرة لاعتقال السادة آل الحكيم عام ١٩٨٣ وكان جاره واحداً منهم واستشهد لاحقاً وضع جلاوزة الأمن نقطة مراقبة عند باب داره فتكثَّف عمله بالتقية حتى وصفها في بعض رسائله بأنها اشد من التقية التي عاشها الإمام الحسن السبط عليه السلام وبقي في الإقامة الجبرية حتى حصل انفراج نسبي عام ١٩٨٧ ثم كان الفرج أوسع بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨ وعاد إلى نشاطه العلمي وبدأ بالتدريس في جامعة النجف الدينية.

الثالثة: دوره في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ وقد شرحته مفصلاً في كتابي (الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما اعرفه) حين بايعته قيادة الانتفاضة مرشداً للثورة الإسلامية المباركة (بحسب وصفه قدس سره في خطابه الذي وجهه للجماهير في الصحن الحيدري الشريف) في اليوم الأخير قبل

بدء هجوم قوات الحرس الجمهوري على المدينة واعتقل على أثرها في معتقل الرضوانية ببغداد ثم أفرج عنه. وقد خرج من هذه التجربة بنتيجة مؤلمة وهي أن الأمة ما زالت بحاجة كبيرة إلى تربية روحية حتى عبّر بأنه لم يكن معي من المخلصين إلا اثنان.

وأنه قدس سره بحاجة إلى البدء بمشروع إصلاحي يهدف إلى بناء المجتمع الصالح وبدونه يكون السعي لإسقاط النظام عبثاً ومن كلماته في بعض الرسائل (إن الجهاد الأصغر ـــ أي حمل السلاح في مواجهة الطواغيت ـــ لا يكون منتجاً إلا إذا اقترن بالجهاد الأكبر ـــ أي مجاهدة النفس وإصلاحها).

ومثل هذه النتيجة خرج بها السيد الشهيد الصدر الأول قدس سره في نهاية حياته حينما قال: ـــ بحسب رواية السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره ـــ (إننا استطعنا أن

نربي الناس إلى نصف الطريق ولم نكمل النصف الآخر) ويفسرها الثاني (النصف الأول بتربية عقولهم بالعلوم المعمقة من دون تربية نفوسهم وتطهير قلوبهم من حب الدنيا واستهداف ما سوى الله تبارك وتعالى.

الرابعة: مرحلة تصّديه للمرجعية بعد الانتفاضة والتي نفّذ فيها مشروعه الإصلاحي المشار إليه وتصاعد فيه حتى بلغ الذروة في مواجهة النظام من خلال منبر الجمعة وأدت إلى استشهاده يوم ١٩٩٩/٢/١٩، وكان خلاله يأخذ بيد المجتمع ليرتقي به في سلم الكمال، وفي جوابه عن إحدى رسائلي وصفت فيها تقنين الفقهاء لمسألة أخذ الفوائد المصرفية بأنها حيلة شرعية منافية لروح الإسلام وان كانت بحسب الظاهر على طبق القواعد والمفروض بالفقهاء أن ينشئوا البديل وهو المصرف الإسلامي

الـــذي لا يتعامـــل بالربـــا وغيرهـــا مـــن المعاملات المحرمة فكان ممـا قـال فـي جوابه مؤيداً (إننا يجب أن نرفـع مسـتوى الواقع إلى مستوى الشـرعية ولـيس بـأن ننزل مستوى الشريعة إلى مستوى الواقـع وتكييفها معه.

الطعنات من الخلف:

س٨: هل كان سماحة السـيد يحظـى بتأييد من أوساط دينية أو سياسية داخـل الحوزة وخارجها؟

ج: استطيع أن أقول بكل أسف: لا فقد كان موقفهم سلبياً ومعادياً واتخذ أشـكالاً متعددة من الأساليب الخبيثة

س: السبب؟

ج: ليســت الأســباب إلهيــة صــحيحة طبعاً، ولو كان هدف الجميـع مخلصـاً لله تبارك وتعالى لاتحـدوا واجتمعـوا علـى طاعته، أما الجهات الدينية فلأنها ترى فـي

مرجعيته الصاعدة والآخذة بالاتساع مزاحماً لسلطتها التي تعتقد أنه حق خالص لها، وبهذا الصدد قال بعض ذيول أحدى المرجعيات (مالهم ينازعون الناس سلطانهم) أي ما للسيد الصدر قدس سره ينازع الناس الذوات الذين يجب أن تبقى المرجعية منحصرة فيهم هذا السلطان؟

وهذه نظرة أنانية جاهلية استعلائية قديمة، فقد كان الأمويون المحدقون بالخليفة الثالث يرون فيء المسلمين حقاً خالصاً لهم وأنّه بستان قريش لا يجوز لأحد منازعتهم فيه، وأن السلطة قميص ألبسهم الله تبارك وتعالى إياه وغيرها، أما نظرة الشريعة فان المرجعية مرتبة شريفة لها شروط فمن توفّرت فيه كان أهلاً لها مهما كان جنسه وقومه.

وأما الجهات السياسية فلانكشاف زيفها وإنها تتاجر بمظلومية الشعب العراقي وما يتعرض له من بطش من

جلاوزة صدام فقد سحب البساط من تحت أرجلهم ولاح لكل مراقب ان السيد الصدرقدس سره هو الذي يقود المعارضة الحقيقية للنظام وجها لوجه داخل العراق وأنه يقوّض أركان النظام تدريجياً، فبدأت القوى المخلصة في إحداث التغيير تلتف حوله وتعرض عليه الاشتراك معه أما أصحاب الدكاكين البائسة فقد كسدت بضاعتهم وكانوا يرون في السيد الصدر كابوساً يجثم على صدورهم فوجهوا سهام غدرهم إليه وكشفوا ظهره للنظام وطوقوه وحاصروه وتركوه وحيداً في مواجهة النظام.

وحينما أحس السيد الصدرقدس سره بعزم النظام على تصفيته فكّر بحماية نفسه من خلال توسيع مرجعيته خارج العراق وجعلها عالمية لإحراج النظام ومنعه من الإقدام على الجريمة فأرسل وفداً فيه المرحومان الشيخ علي صادق والشيخ

محمد النعماني إلى عدد من الدول الإسلامية القريبة والمجاورة لكن الوفد جوبه بامتعاض شديد ورفض إهانة، وافتتح له مكتباً في الجمهورية الإسلامية ووجه في حفل الافتتاح خطاب صداقة وتأييد إلى القيادة والشعب الإيراني ولكن مكتبه أغلق بعد ثلاثة أيام فقط بسعي نفس الجهات.

وكان قدس سره شديد التألم من الحرب التي شُنّت عليه بهدف تسقيطه وإنهاء شرعيته بالكذب والافتراء وتوظيف الأبواق المأجورة وكان يقول عن تلك الفترة (تحملتها بأعصابي) ويقول (إن الوحيد الذي نصرني أيام الشدة الشيخ محمد اليعقوبي) وفي آخر أيامه كان يقول عن تلك الفترة (إنني لا أستطيع أن أثبت براءتي إلا بدمي) وكان يصف حرب الزعامات بأنها حرب قذرة لأنهم لا

يقولون ما هو فيك بل يقولون ما ليس فيك.

وقد ألفت عدة كتب في أرشفة تلك الحرب وتدوين فصولها والله المستعان على ما يصفون.

لماذا أجّل السيد الشهيد تصعيد المواجهة مع النظام؟

س٩: تحدثتم قبل قليل أنه قدس سره آجل المواجهة مع النظام في بداية مشروعه السياسي وفي بداية ظهوره وتصديه للمرجعية.

السؤال الذي يطرح نفسه لماذا آجل سماحته قدس سره المواجهة مع النظام فلما ظهر كانت إستراتيجيته أن لا يواجه النظام بشكل مباشر لكن بعد صلاة الجمعة التي أقيمت في معظم مناطق العراق يعني هكذا يفهم البعض انه سماحة السيد قدس سره أصبح في مواجه مباشرة مع النظام السابق من خلال مطالبته بالخدمات العامة من

خلال مطالبته بإطلاق سراح المعتقلين ومن خلال مناداته ومن خلال توجيهاته إلى جميع شرائح المجتمع حتى أنه في الخطبة الأخيرة يعني وجه كلامه إلى الغجر. فلماذا انتقل من إستراتيجية عدم المواجهة مع النظام إلى إستراتيجية المواجهة بعد صلاة الجمعة؟

ج: قلنا إنه قدس سره واجه النظام بأعلى صور المواجهة فقد قاد الانتفاضة، اعني أنهم بايعوه على قيادتها لكنه لم يمهل إلا يوماً واحداً، فهو قدس سره خاض هذا المستوى من الاصطدام إلا أنه خرج بالنتيجة التي ذكرناها وغيّر تكتيكاته في العمل وبدأ بنمط جديد من العمل لكن الأهداف بقيت واحدة.

وربما كان وراء هذا التريث هدف آخر يفهمه كل قائد وصاحب مشروع إصلاحي، فإنه ما لم يطمئن إلى وجود البديل القادر على مواصلة المشروع

وإتمامه بأحسن وجه لا يصعّد مسيرته ويعرّض نفسه للهلاك خوفاً على مشروعه أن يفشل وليس خوفاً على حياته وإن كانت الأعمار بيد الله تبارك وتعالى يقيناً، وهذا ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير خوف كليم الله موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء:١٢-١٤).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص:٣٣-٣٤).

فقد ورد بأن خوفه عليه السلام كان من قتله مباشرة قبل أن يقوم بالتبليغ ويطمأن إلى وجود الخليفة الذي يواصل حمل الرسالة فاستجاب له تبارك وتعالى وشدّ عضده

بأخيه هارون ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه:٢٩-٣٢).

وفي رسالة الإسلام كان إكمال الدين وإتمام النعمة وإقرار عين النبي محمد صلى الله عليه وآله بنصب أمير المؤمنين عليه السلام إماما وهادياً وخليفة من بعده.

لذا تحدث السيد الشهيد الصدر قدس سره في أكثر من مناسبة عن (البديل المماثل) الذي يُعِدّه، ولما صرّح باسمه في لقائه بطلبة جامعة الصدر الدينية يوم ٥/جمادي الثانية/١٤١٩ أي قبل استشهاده بخمسة أشهر (الآن أستطيع أن أقول إن المرشح الوحيد من حوزتنا هو جناب الشيخ محمد اليعقوبي إذا كان الله أمد لي في العمر إلى وقت شُهد باجتهاده، فانا لا أعدو عنه هو الذي ينبغي ان يمسك الحوزة بعدي) صعّد من حركته في الزيارة الشعبانية وما بعدها ومضى سعيداً

إلى الشهادة التي اختارها الله تبارك وتعالى.

التصدي للمرجعية أساس الانطلاق في المشروع الإسلامي:

س١٠: كيف هيّأ السيد الشهيد قدس سره لمشروعه السياسي اجتماعياً؟

ج: كانت الركيزة الأساسية لمشروعه والتي انطلق منها هي عرض مرجعيته لأنه يعتقد ـــ وهو الصحيح ـــ بأن قمة هرم المشروع يجب أن يكون مجتهداً جامعاً لشروط المرجعية، وأي طرح غير مرجعي لا يمكن أن يكون صحيحاً، ومن بعد ذلك يمكن التفكير بالآليات المناسبة للعمل السياسي من تأسيس حزب أو حركة شعبية أو مؤسسات ونحوها.

وتصديه للمرجعية لم يكن بدوافع دنيوية كحب الجاه والقداسة والاستعلاء على الناس وجمع الثروة وغيرها وإنما كان لتأصيل الحركة وتثبيت شرعيتها، وإلا

فانه لم يكن يفكّر قبل ذلك في المرجعية، ومن الشواهد على ذلك انني عرضت عليه في إحدى مراسلاتي بتأليف ما سميته (الفقه الشامل) وتحديث كتب الفتاوى للفقهاء لتكون شاملة لشؤون الحياة، فكان ردّه الاعتذار والسبب كما قال قدس سره لأنني لا أحتمل بقائي حياً إلى حين تحقق الفرصة للمرجعية ورجوع الناس إليَّ. مع أهليته لذلك فإنه كان يعتقد ببلوغه درجة الاجتهاد ومنذ العام ١٩٧٧ في حياة أستاذه الشهيد الصدر الأول قدس سره.

من تاريخ الحركة الإسلامية
للسيد الشهيد الصدر الثاني
١٩٨٥ – ١٩٩٠[1]

اللقاء الأول بالشهيد الصدر:

س١: متى كان لقاؤكم المباشر لأول مرة مع السيد الشهيد الصدر قدس سره وكيف؟ بعد ان كان تواصلكم عبر الرسائل فقط.

ج: بسم الله الرحمن الرحيم: كان ذلك في سنة ١٩٨٧ حيث بدأ السيد الشهيد الصدر بالخروج عن عزلته الاجتماعية وأخذ يحضر بعض المناسبات الدينية كالمجالس الحسينية التي تقام في بعض البيوتات وكنت أراه لكنني لم أتحدث معه حتى استأذنته في بعض رسائلي إليه،

(١) حوارية أجريت مع سماحة الشيخ اليعقوبي يوم ٤/محرم/١٤٣١ الموافق ٢٠٠٩/١٢/٢١ لتغطية أحداث هذه الفترة وتتميم كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) لسماحة الشيخ اليعقوبي.

فأجاب بالإيجاب ولكنه طلب مني صورة شخصية ليتعرّف علي إذا سلمتُ عليه لأنه كان يتوقع كل شيء فيحتمل أن رسائله وقعت بيد جلاوزة النظام وأن أحدهم تقمص شخصيّتي وجاء للإيقاع به، وقد أرسلت صورة حديثة إليه ومع ذلك طلب مني أن أعرّف نفسي حين ألقاه، وقد أرسل قُدِّسَ سِرُّهُ صورته إليّ على العرف الجاري بين المتحابين في تهادي الصور التذكارية.

وبعد ذلك كنت ألتقيه في تلك المجالس وأخصّه بالسلام والحديث المقتضب دون غيره من العلماء الذين يجتمعون في مكان مخصص لجلوسهم رغم إن لي علاقات خاصة مع عددٍ منهم ومثل هذا التصرف غير مألوف لكنني لم أكن استطع تمالك نفسي دون أن أسلّم عليه.

ثم بدأت بزيارته قدس سره في داره واللقاء به، كما بدأ بإقامة مجالس العزاء في ذكرى وفاة المعصومين عليهم السلام وكان بيته في الحنانة يزدحم بالحضور وأغلبهم من المصلين في جامعة النجف الدينية حيث كان والده قدس سره يقيم صلاة الجماعة فيها وتزوّج اثنان من أولاد عميدها السيد محمد الكلانتر قدس سره من بنتي السيد الشهيد الصدر قدس سره.

وكنت أرافقه في بعض المناسبات وندعوه في بعض مناسباتنا الاجتماعية كعقد قران بعض الأقرباء كما زارني في داري وفي محل الكسب الذي اتخذته لاحقاً، وصحبناه مرة أنا وأخي المرحوم الشيخ علي بسيارته إلى كربلاء المقدسة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة، وكان يذهب ـ كما قال في إحدى رسائله ـ في السنة مرة أو مرتين وكنت أستشيره حتى في أموري الشخصية والاجتماعية

كقضية تزويجي وأن تكون علوية، فأيد مطلبي هذا وقال: الأفضل أن تكون علوية من جهة الأبوين وهو ما قسمه الله تبارك وتعالى، وأبدى لي استعداده في دعمي ـــ على حسب تعبيره ـــ عند الخطبة من أي أسرة أرغب فيها.

س٢: هل يعني هذا أن السيد الشهيد الصدرقدس سره هو الذي عقد قرانكم؟

ج: لم يتيسر لي ذلك، والأصح إنني لم اطلب منهقدس سره ذلك، لأن عقد قراني كان في بغداد ولم أشأ مزاحمتهقدس سره وكنت أتوقع أن السفر إلى بغداد محرج له، وكانت لنا علاقة وطيدة بعدد من العلماء، وقد أجرى العقد المرحوم آية الله السيد محيي الدين الغريفيقدس سره.

الانفراج النسبي عن الشهيد الصدر:

س٣: ما الذي حدث عام ١٩٨٧ وصار السيد الشهيدقدس سره يأخذ حريته في الحركة

والمشاركة في المناسبات الدينية و الاجتماعية ولو بشكل محدود بعد أن كان منعزلاً تماماً بحيث قال في احد لقاءاته المسجلة أبان مرجعيته، انه لا يسلم على أحد ولا يسلّم عليه أحد في تلك المرحلة.

ج: التغيرات الاجتماعية لا تحصل دفعه وإنما بالتدرج، لذا لا يمكن تحديد تاريخ معين للتغير في الظروف المحيطة بنا يومئذ والتي أوحت إلى السيد قدس سره بإمكان أخذ حريته النسبية، والعام المذكور كان تاريخاً للحديث عن لقائنا المباشر.

وهذه التغيرات تحتاج إلى عناية خاصة من الباحثين و المفكرين لدراستها وتحليلها ومعرفة عوامل حصولها لأنها فترة مهمة من تاريخ الحركة الإسلامية خاصة والعراق المعاصر عامة وقد أسست لانطلاقة جديدة لها بعد أن خمدت مطلع

الثمانينات وأضرمت بانطلاقتها هذه انتفاضة عام ١٩٩١ وكسرت شوكة نظام صدام حتى إسقاطه عام ٢٠٠٣ وأعطاها السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره زخماً كبيراً عندما تصدى للمرجعية بعد الانتفاضة حتى توّجها باستشهاده عام ١٩٩٩.

ولا زالت هذه الفترة مجهولة بل يتعمد الكتّاب والمؤلفون في تاريخ الحركة الإسلامية تجاهلها لأن أكثرهم كان خارج العراق في حينها ويدّعي زعامة المعارضة العراقية، فإبراز تاريخ الحركة الإسلامية داخل العراق في تلك الفترة يفضحهم ويظهر زيف معارضتهم المزعومة. على أي حال استطيع القول أن المعارك الكبيرة التي شهدتها الحرب بين نظام صدام وإيران خلال سنوات ١٩٨٢-١٩٨٥ كبدّت العراقيين خسائر جسيمة بالأرواح وعمّت المصائب أغلب البيوت تقريباً وقد وقعت

الخسائر في الشيعة الذين جعلهم صدام المقبور وقوداً للحرب، لذا كان رد الفعل الطبيعي هو التوجه إلى الله تعالى والتوسّل بأهل البيت عليهم السلام وقصد مراقدهم المقدسة وإحياء الشعائر الدينية ولأكثر من سبب[1] فإن تحولاً نوعياً بدرجة ما قد حصل في كيفية تعاطي النظام مع نمو الظاهرة الدينية (وأسميها بهذا الإسم تمييزاً عن الحركة الإسلامية التي تعني بروز النخبة وقصدها

---

(١) منها شعور النظام بعدم وجود تهديد جدي في الداخل بعد القضاء على رموز المعارضة، أما المعارضة في الخارج فقد كان يسخر منها ومن عملياتها التي لا تملك أي قيمة في تهديده ولا تعدو إثبات الوجود ولضمان استمرار الدعم من الدول المساندة لتلك المعارضة، كما أن الحرب مع إيران لم تعد تهدد وجود نظامه وشعر بتوازن القوى بعد استخدامه للأسلحة الكيمياوية في عمليات هور الحويزة في شباط ١٩٨٤ وغيرها من الأسباب

للعمل الذي يكون نخبوياً عادة أما الظاهرة الدينية فهي حالة شعبية عامة).

وأقصد بالتحول النوعي غضّ النظر عن جملة من الممارسات التي كان يعتبرها جريمة يعاقب عليها القانون كالتدين خصوصاً عند الشباب وارتياد المساجد وحضور صلوات الجماعة والشعائر الدينية وزيارة العتبات المقدسة ووجود الكتاب الديني التقليدي ونحوها التي كانت توجد مادة في قانون العقوبات تقضي بالسجن سبع سنوات على هذه الأمور بتهمة الطائفية.

فصرنا بعد عام ١٩٨٥ نشهد المجالس الحسينية الضخمة في المساجد والبيوت مما لم يكن مألوفاً من قبل وكان للسادة آل بحر العلوم (الذين قضى كثيرٌ منهم في السجن بعد الانتفاضة الشعبانية) دور بارز في إحياء تلك المجالس على طيلة شهري محرم وصفر وفي وفيات المعصومين

(سلام الله عليهم) وأخصّ بالذكر الأعلام الأجلاء السيد علاء الدين والسيد عز الدين والسيد جعفر والسيد حسن الذين اعتقلهم النظام في الانتفاضة مع أولادهم وإخوانهم ومضوا شهداء على طريق ذات الشوكة.

ولشعور النظام بالثقة بنفسه فقد اصدر في مايس/١٩٨٦ عفواً عاماً عن السجناء وأكثرهم من الشباب المتدينين، ونقل أخي المرحوم الشيخ علي الذي كان أحدهم أن عدد المفرج عنهم بلغ ثلاثين ألفاً، وكان على هؤلاء الالتحاق بالجيش الصدامي الذي دُعي للخدمة فيه كل من تقع أعمارهم بين ١٨-٤٠ سنة، أما غيرهم فيجنّدون في ما يسمى بالجيش الشعبي.

وكنت التقي بمجاميع من هؤلاء الشباب المتدينين في كربلاء عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة الجمعة ولما لم يستطع بعضهم التعايش مع النظام فقد

غادر قسم منهم العراق بشكل أو بآخر وشكل عدد آخر مجاميع مسلحة لمواجهة النظام، وكانت المجموعة[1] التي ترأسها المرحوم الشهيد حسين علوان اليعقوبي في النجف الأشرف من أشدها تهديداً للنظام وقامت بتصفية عدد من رموزه وازداد قلقه من عدم العثور على خيط يوصلهم إلى رجالها، حتى تمكنوا من ذلك واعتقلوا الشهيد المذكور وعذّبوه بأقسى وأشرس ألوان التعذيب الوحشي

(١) كانت للمجموعة عدة نشاطات غير العمل المسلح كمساعدة المحتاجين خصوصاً عوائل الشهداء والسجناء وتزويج الشباب المؤمنين ومساعدة المتخلفين عن الخدمة العسكرية والمجاهدين بإخفائهم وتنظيم الوثائق الثبوتية التي تتيح لهم الحركة، وقد استفدت أنا شخصياً من هذا العمل الأخير.

وحبسوا عائلته في البيت[1] واتخذوه مقراً لجلاوزة الأمن الصدامي للقبض على كل من يطرق الباب ومكثوا فيه أسابيع اعتقل فيها عدد من الأصدقاء والأقرباء بينهم عدد من النساء.

وإنصافا نذكر هنا أن المرحوم آية الله السيد حسين بحر العلوم قدس سره كان يدعم هذا العمل مادياً ومعنوياً، كما كان للمرحوم الشهيد الخطيب الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق الدور البارز في رفع مستوى الوعي والهمة والحماس في نفوس المؤمنين بما يلقيه من محاضرات رسالية تعبوية لم تكن معتادة خصوصاً في مثل تلك المجالس العلنية العامة كالمجلس الذي كان يقام في جامع

(١) وهو دار أسرة آل اليعقوبي التاريخي في مدخل المدينة القديمة وتتوارثه الأسرة منذ أكثر من (١٦٠)عاماً.

الطوسي في العشرة الأولى من محرم الحرام ويمتلئ الحرم والساحة ويُفرش الشارع الخارجي (شارع الطوسي) ويتقطع مرور السيارات لامتلاء المكان بالناس، وقد دسّ إليه جلاوزة الأمن سماً قاتلاً آنذاك لكنه لم يمت ببركة دعاء المؤمنين وإنما شُلّت أعضاؤه وسقط شعر رأسه ثم قبض عليه في الانتفاضة ومضى شهيداً.

على أي حال لقد استطردت إلى ذكر هذه الأجواء للأمانة التاريخية ولحثّ الكتّاب والمفكرين على تغطية هذه الفترة المهمة، ومحل الشاهد منها إن السيد الشهيد الصدر قدس سره أدرك أن جملة من النشاطات يمكن أن يقوم بها ولم تعُد محظورة من قبل النظام فبدأ بالظهور الاجتماعي، ثم عاود التدريس في جامعة النجف الدينية وكان يرغب بتدريس البحث الخارج إلا أن خلو الجامعة ـــ بحسب نظامها الداخلي ـــ من هذا

المستوى من البحث دفع السيد الشهيد قدس سره إلى القبول بتدريس عدد من الطلبة ـــ كان عددهم ثلاثة ـــ كتاب الكفاية في الأصول على أمل أن يبدأ معهم بحث الخارج عند إكماله. لكن الفرصة سنحت له لافتتاح البحث في أروقة الحوزة إلى جوار أمير المؤمنين عليه السلام.

نمو المظاهر الدينية وأثرها على الحوزة:

س٤: تتمة للاستطراد السابق هل أثّر هذا النمو للظاهرة الدينية على وضع الحوزة العلمية في النجف الأشرف؟

ج: نعم أثر إيجاباً فقد بدأ عدد من العراقيين بالالتحاق بالحوزة العلمية بعد أن انتهى وجودهم تقريباً وتفرّقوا بين إعدام واعتقال وتهجير ومن بقي سيق إلى الخدمة العسكرية أو توارى عن الناس، كما أن توقف الحرب مع إيران عام ١٩٨٨

فتح الباب لمجيء طلبة العلم من الخليج وغيرها، وعاد إلى التدريس من كان منكفئاً عنه كالسيد الشهيد الصدر قدس سره، فكان نمو الحراك العلمي في الحوزة واضحاً، كما تحسّن الوضع المالي بتوافد الزوار من دول العالم وكنت أتردد على مقر إقامة السيد الخوئي قدس سره في الكوفة وأرى هذه الوفود، وكذا في بيوت كبار العلماء كالسادة آل بحر العلوم والسيد محيي الدين الغريفي وغيرهم، لكن غزو صدام للكويت قضى على كل هذا التحسن وأعاد عقارب الزمن إلى الوراء.

تأليف ما وراء الفقه:

س٥: ورد في بعض رسائله قدس سره معكم المنشورة انه طلب مساعدتكم في تأليف كتابه القيم (ما وراء الفقه) فما وجه هذه المساعدة وما حدودها؟.

ج: ذكر قدس سره في بعض رسائله بتواضعه المعروف انه يستفيد من رسائلي وذكر عدة فوائد، منها: أنها تفتح ذهنه على أفكار جديدة، وعنوان كتابه (ما وراء الفقه) جاء بعد ما بعثت له بمشروع للكتابة في (ما وراء النص) أي النص الفقهي، وأصل البحث وتعليقاته قدس سره منشورة في كتابي (الشهيد الصدر قدس سره كما أعرفه).

ولما كان الكتاب يتناول المسائل الفقهية من جهة ارتباطها بالعلوم الأخرى ومنها العلوم العصرية، ويعرف السيد الشهيد قدس سره أنّ لي حصيلة مفيدة في هذا المجال فطلب مني مساعدته في توفير مثل هذه المعلومات وتدقيق ما يأخذه من المصادر، ومراجعة ما يكتب، ويوجد طلبه في تلك الرسائل.

فكان قدس سره يبعث بدفاتر المسودات التي وصلت إلى حوالي (٢٨) كل منها فئة

(٢٠٠) ورقة حيث كان يكتب بصفحة واحدة هي اليسرى ويترك اليمنى المقابلة للإضافات والهوامش والتعليقات وقد اتبعته في ذلك في كتاباتي اللاحقة.

وكنت أؤشر بتعليقاتي على تلك المسودات وكانت التعليقات على كتاب الميراث غزيرة تعجبقدس سره من كثرتها وقد بقي بعضٌ منها ذكرته في كتاب (الرياضيات للفقيه).

وقد استفدت من مراجعة مسودات الكتاب كثيراً لأنها كانت أول قراءة منظمة لكتاب فقهي من أول الفقه إلى آخره حيث كنت لا أزال اعتمد على مطالعاتي الشخصية ولم انضمّ إلى كيان الحوزة العلمية.

كما تولّد لي خلال المراجعة شعور بحاجة الحوزة العلمية إلى كتاب يقدّم لهم ما يحتاجون من علم الرياضيات في المسائل الفقهية ويراعى فيه الوضوح في

إيصال المعلومة، فألّفتُ (الرياضيات والفقه) حيث نال رضاهقدس سره ورغب بطبعه في الجزء الثامن وإلحاقه بكتاب الميراث وأضفت له فقرة (التباديل والتراكيب) جواباً على طلبهقدس سره بأنه هل يمكن وضع قانون أو قاعدة لاستقصاء مسائل الميراث بدل الطريقة المتبعة لدى الفقهاء (قدس الله أرواحهم) بافتراض مسائل لا حدود لها وحلها، وقد كتبت أكثره في أوقات الفراغ في محل الكسب.

وبعد التحاقي بالدراسات الحوزوية عمّقت الكتاب وأضفت له موارد جديدة فكان كتاب (الرياضيات للفقيه) ولله الفضل والحمد أولاً وآخراً.

أثر انتهاء الحرب على العلاقة مع الشهيد الصدر:

س٦: ما وقع قرار إيقاف الحرب بين العراق وإيران على السيد الشهيد الصدرقدس سره وعليكم؟

ج: كان السيد الشهيد قدس سره من المعارضين لاستمرار الحرب وكان يتمنى على القادة الإيرانيين لو قبلوا بقرار مجلس الأمن لإيقافها منذ عام ١٩٨٢ بعد أن حرّروا جميع أراضيهم في أواخر مايس من تلك السنة وقد أشرتُ إلى هذا في كتاب (السيد الشهيد الصدر قدس سره كما أعرفه) لأنه كان يرى استمرار الحرب استنزافاً لطاقات البلدين المادية والبشرية وكانت الخسائر تقع في الشيعة الذي كان يرميهم صدام المقبور في الجبهات الأمامية، وكان قدس سره يدرك المؤامرة الدولية التي تريد إنهاء الشيعة في البلدين وثرواتهم، وكتب في هذا المجال بحثاً بعنوان (فلسفة الأحداث في العالم المعاصر) وبعثه إليّ للاطلاع والتعليق عليه، وقد ذكرتُ ذلك في الكتاب المذكور وهو مطبوع.

وكان الخلاف موجوداً بين القادة الإيرانيين أنفسهم حيث كان يرى البعض عدم وجود مبرر لدخول الأراضي العراقية (الذي بدأ في عمليات شرق البصرة في تموز/١٩٨٢ الذي صادف شهر رمضان المبارك) فيما كان يرى البعض الآخر ضرورة ملاحقة صدام في عقر داره وإنزال العقوبة به وإزاحته، وقد نجح الفريق الثاني في إقناع السيد الخميني قدس سره الذي كان صاحب القرار النهائي واستمرت الحرب حتى قبِل السيد الخميني قدس سره بقرار مجلس الأمن (٥٩٨) ببيانه التاريخي الذي أصدره في ١٩٨٨/٧/٢٠ الموافق السادس من ذي الحجة بمناسبة الذكرى الأولى لسقوط المئات من الحجاج الإيرانيين شهداء وجرحى أثناء قيامهم لمسيرة البراءة في مكة المكرمة.

أما بالنسبة لي فقد شُغلتُ بنفسي و تخلّيت في حينها عن أغلب اهتماماتي ومنها مجريات الحرب فلم أتابع ما حصل من العمليات عام ١٩٨٨، ولم اسمع بقرار وقف الحرب إلا من بعض أقربائي الذين قصدوني للتهنئة بانتهائها والسلامة وكنتُ قد انتقلت بسكني إلى النجف الأشرف منذ أوائل عام ١٩٨٨. وسمعت خطاب السيد الخميني قدس سره المتضمن لقبول قرار مجلس الأمن من التلفزيون العراقي.

دور السيد الشهيد الصدر الثاني في الانتفاضة الشعبانية[1]

عتب على المؤرخين:

أدلى سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بحديث مفصّل إلى إذاعة البلاد عن دور السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره في الانتفاضة الشعبانية المباركة في ذكرى اعتقاله خلالها يوم ١٩٩١/٣/١٤ وعتب في بداية حديثه على المؤرخّين والكتّاب لعدم تسجيل أحداث هذه الانتفاضة الواسعة وتخليد مآثرها وهي التي كسرت شوكة صدام وأزالت دولة الرعب التي صنعها في نفوس الناس وجعلت منه كياناً

(١) نُشر في العدد (٥٥) من صحيفة الصادقين الصادر في ١٥/ربيع الأول/١٤٢٨ المصادف ٢٠٠٧/٤/٤.

خاوياً سهّل لاحقا على قوات الاحتلال أن تسقطه بلا قتال.

نتائج الانتفاضة الشعبانية أهم من نتائج ثورة العشرين:

كما ساهمت هذه الحركة المباركة التي كان يحركها رفض الظلم ورفع الكبت والحصار عن الوعي الإسلامي ونشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام وإقامة شعائرهم ساهمت في الانتشار الواسع للعودة إلى الله تبارك وتعالى الذي تفاجأ به القادمون من الخارج ولم يحسبوا له حساباً.

فهي في نتائجها أكبر من ثورة العشرين التي خلدّتها كتب عديدة رغم أنها لم تحقق الأهداف المرجّوة التي توازي التضحيات الجسيمة التي تكبّدها الثوار، لذا قال جدّي الشيخ محمد علي اليعقوبي رحمه الله وهو من رجالها:

سل ثـورة العشـرين أيـن رجالهـا
فجهادهم وجهودهم ذهبت سدى

أسباب إهمال ذكر الانتفاضة الشعبانية:

إن أحد أسباب إهمال تاريخ الانتفاضة الشـعبانية ـــ الآذاريـة ومـرور ذكراهـا وذكريـات رجالهـا مـن دون اهتمـام أن المتصدّين اليوم لإدارة الدولة والمتاجرين بمواقف الأبطال لم يكـن لهـم فضـل ولا سابقة في تلك الانتفاضة ولا في الحركـة الإسلامية الواسعة التي تلتها في التسعينات فهم يخافون من إحياءها لأنـه سيكشـف عـن أحقيـة قـوم قـد أبعـدهم هـؤلاء المتصـدّون وأخـروهم وحـاربوهم وحرموهم من حقوقهم وجعلـوا لأنفسـهم حق الوصاية عليهم.

لذا ينبغي للكتّاب والباحثين أن يولـوا اهتماما لهذه الحقبـة المهمـة مـن تـاريخ العراق والحركة الإسلامية واخصّ بالـذكر

طلبة الدراسات العليا ليجعلوها مادة لأطاريحهم.

قد وردت جملة من تفاصيل الانتفاضة في فصل خاص من كتاب (الشهيد الصدر الثاني قدس سره كما أعرفه).

الموعظة وأخذ الدرس:

وأضاف سماحته: إن الله تبارك وتعالى حثّ في القران الكريم على دراسة التاريخ والاعتبار به وأخذ الدروس والمواعظ من أحداثه لان سنن الله تعالى في خلقه لن تجد لها تبديلا ولن تجد عنها تحويلا فلا ينبغي لعاقل أن يبدأ من حيث بدأ الآخرون من دون أن يستفيد من تجاربهم، فهل من الصدفة أن يصل السيدان الشهيدان الصدران الأول والثاني (قدس الله سريهما) في ذروة المواجهة مع النظام الطاغوتي إلى نتيجة واحدة وهي قلة الواعين المخلصين؟ فمثل هذه التجارب

سـواء كانـت مرجعيـة أو سياسـية أو اجتماعية أو عسـكرية لا بـد أن تمحّـص ويستفاد منها.

الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وإعداد البديل[1]

على أبناء الحوزة أن يحصلوا ملكة الاجتهاد:

إن التعبير عن المشاعر وردود الأفعال إزاء مثل هذه المناسبات الحزينة المؤلمة مختلفة بحسب مستويات الناس، فأنتم الفضلاء والأساتذة وطلبة البحث الخارج يكون تعبيركم المناسب هو ما نفهمه من ذيل الحديث الشريف «إذا مات العالم ثُلم في الإسلام ثُلمة لا يسدّها شيء إلا عالمٌ مثله» بوجوب مضاعفة الجهد وبذل الوسع لتحصيل ملكة الاجتهاد حتى نسدَّ هذه

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع الفضلاء الذين يحضرون بحثه الشريف في الفقه بمناسبة الذكرى العاشرة لاستشهاد السيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره في ٣/ ذو القعدة /١٤٢٩المصادف ٢٠٠٨/١١/٢.

الظُلمة.

وهذا ما يقتضيه منهج أهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين) فإنهم أرجعوا الأمة في زمان غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى المجتهد الجامع للشرائط ليقوم ببعض وظائف ومسؤوليات الإمام وهي تلك التي لا يستطيع القيام بها لأنها تتنافى مع المصلحة في غيبته أما وظائفه(سلام الله عليه) الأخرى فهو قائم بها وعلى رأسها لطف وجوده المبارك.

مسؤولية المرجعية أن لا تخلي الأرض من المجتهدين:

إن اللطف الإلهي اقتضى أن لا تخلو الأرض من حُجة وإلا لساخت الأرض بأهلها كما ورد في الأحاديث الشريفة والمصداق الأكمل للحجة موجود عجل الله تعالى فرجه الشريف حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويقيم دولته المباركة، لكن الأمة بحاجة إلى نوع آخر من الحجة يكون نائباً للمعصوم

(سلام الله عليه) ويقوم بتصريف الشؤون التي لا يستطيع مباشرتها بنفسه وبدونه تضّل الأمة عن الصراط المستقيم، لذا ورد في الدعاء «اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيَّك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللتُ عن ديني»[1].

فمن مسؤولية الحوزة العلمية وخصوصاً المرجعية أن لا تُخلي الأرض من حجة بهذا المعنى الثاني بلطف الله تبارك وتعالى.

دعوة للاستعداد المبكر لتحصيل شروط المرجعية، والإشادة بالنبوغ والإبداع:

نعم، هذا الوجوب كفائي وإذا تصدى أحد للمسؤولية فإنه يسقط عن الآخرين

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٩٤.

ويمكن أن يكتفي بـه غيـره، لكـن علينـا الاستعداد المبكـر لمثـل هـذا اليـوم لأن شروط المرجعية لا تتـوفر إلا بعـد جهـد وجهاد طويلين قـد يسـتمران عقـوداً ولا تُعـذر الحـوزة العلميـة أمـام الله تبـارك وتعالى إذا قصّرت في إعداد البديل، لقـد كـان السـيد الشـهيد الصـدر الثـاني قدس سره منصفاً فـي الإشـادة بكـل نبـوغ علمـي واجتهاد ويرى من مسؤولياته الإشارة إليه، ويشـجّع السـائرين الـذين يؤمَّـل لهـم الوصول، كنتُ أناقشه باستمرار بعد انتهاء محاضرات البحث الخارج فـي الأصـول وفي أحد الـدروس سـنة ١٤١٧هـجرية عـرض رأيـاً للسـيد الشـهيد الصـدر الأول قدس سره وناقشته (حيث كان يرّكـز فـي بحثه على مناقشة آراء أسـتاذيه السـيدين الصدر والخوئي (قدس الله سرهما) فقلت له بعد الدرس إن هـذه المناقشـة ليسـت تامة لكذا وكذا والصـحيح أن يُـردَّ علـى

كلام الشهيد الصدر قدس سره بكذا وكذا فنظر إلي مبتسماً وعليه علامات الفخر بتلميذه (إن هذه المناقشات تفرحني لأنها تقربك من الاجتهاد) هذا غير الكلمات التي نشرت بقلمه وبصوته (قدس الله نفسه).

الحوزة النجفية لم تصدر شهادة اجتهاد واحدة منذ أكثر من ثلاثين عاما:

وسأكون إن شاء الله تعالى منصفاً كأستاذي وكما أمر الله تبارك وتعالى فأشيد بكل نبوغ واجتهاد وأشير إليه تحملاً لهذه الأمانة لأن حبس الاعتراف باستحقاق الآخرين ظلم لهم والله لا يحب الظالمين فاغتنموا فرصة وجود المنصفين لأن العقود الأخيرة شهدت ـــ بكل أسف ـــ حبس هذا الحق لذا لم تصدر شهادة اجتهاد واحدة في الحوزة النجفية منذ أكثر من ثلاثين عاماً، فهل هذا يعني إفلاس هذه الحوزة وعجزها عن أداء دورها فليعلنوا ذلك بشجاعة وموضوعية؟

أم أن وراء الأكمة ما وراءها، إذ أن الحوزة النجفية منجبة بفضل الله تبارك وتعالى وفيها عدد يُفتخر به من الطاقات الواعدة.

مفارقة مؤلمة:

إن من المفارقات المؤلمة أن نجد أساتذة الجامعات من الأكاديميين لايبخلون على طلابهم بالاعتراف بنيل الشهادات العليا بعد الإشراف عليهم ومناقشة رسائلهم فيمنحونهم ما يستحقون وبتقديرٍ عال رغم أن ذلك يعني منافسة هؤلاء الأساتذة الجدد لهم في مواقعهم التدريسية والوظيفية ولم يمنعهم ذلك من الشهادة بإنصاف لهم، مع أنهم في الغالب علمانيون، فهل هؤلاء أنبل وأكثر إنصافا من مما يجري في أروقة الحوزة العلمية؟ هذا إذا عقدنا المقارنة على هذا المستوى وإلا فبين أيدينا شواهد على قيام كبراء

الحـوزة العلميـة بقتـل الإبـداع والنبـوغ ووضـع العراقيـل فـي طريقـه وتسـقيط صاحبها وتطويق مسيرته فإنا لله وإنا إليـه راجعون.

ولكن الأمـل بـالله تبـارك وتعـالى أن يرعى بلطفه هذه الحوزة المباركة ويقيّض لها في كل جيل أمناء على حلاله وحرامه حتى يسلّموا الرايـة لبقيتـه وحجتـه فـي أرضـه المهـدي الموعـود (أرواحنـا لـه الفداء).

الملحق
كلمات في تأبين العلماء واستلهام الدروس الرسالية

ماذا استهدفوا بعملية يوم الجمعة الدامي وماذا علينا أن نفعل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كانت المصيبة التي وقعت يوم الجمعة الأول من رجب عام ١٤٢٤ جليلة وعظيمة انتهكت فيها حرمة الإسلام والمذهب والحوزة العلمية والنجف الأشرف، فقد نفذت الجريمة في واحدة من أقدس بقاع الأرض في جوار مرقد أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث تعدل الصلاة الواحدة

(١) بيان أصدره سماحة الشيخ أثر التفجير الإجرامي الذي أدى إلى شهادة سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم وأكثر من ثمانين شخصاً بعد أداء صلاة الجمعة في الحرم العلوي الشريف يوم ١ رجب/ ١٤٢٤ هجرية الموافق: ٢٩ آب/ ٢٠٠٣.

عنده مائتي ألف صلاة تشريفاً لهذه البقعة، وفي واحدة من أشرف اللحظات وهي الساعة التي تعقب صلاة الجمعة والتي قال فيها الله تبارك وتعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأرض وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠) ويكو ن المصلي حينها قد غفرت ذنوبه كلها وعاد كيوم ولدته أمه وتقول له الملائكة استأنف العمل فقد غفر لك، وفي يوم الأول من رجب أحد الأيام المباركة المخصوصة، وفي مدينة النجف مركز الإشعاع الفكري ومستقر المرجعية الشريفة ومصنع رجالات الفكر والعلم والجهاد والفضيلة ومهوى أفئدة المسلمين في العالم، وقد كانت عظيمة بالخسائر التي نتجت عنها كمّاً وكيفاً فقد استشهد أحد رموز العمل الإسلامي السياسي والاجتماعي والفكري والديني وهو آية الله السيد محمد باقر

الحكيم قدس سره والعشرات من المؤمنين ناهز عددهم المائة لأن مكان الجريمة يزدحم عادة بالمصلين والزوار في مثل هذه الساعة المباركة.

وقد كان المجرمون الذين نفذوا العملية ملتفتين إلى كل الجوانب ومتعمدين لها فماذا استهدفوا من ذلك؟

١. خلق الفتنة بين أبناء المجتمع لأن أصابع الاتهام ستتجه إلى هذا وذاك وتجري أعمال أخذ الثأر ورد الاعتبار من كل من يحتمل ولو ضعيفاً أنه خصمٌ للسيد الحكيم قدس سره الشخص أو النوع سواء داخل المذهب أو خارجه ومن دون تروٍّ وتأمل وتورّع، وقد تؤدي إلى حرب أهلية لا يعلم مداها إلا الله تعالى وربما كما من خطط المنفذين أن يقوموا بعمليات مماثلة ضد الأطراف المقابلة للسيد الحكيم قدس سره شخصاً أو نوعاً لتعزيز هذه الفتنة وتأكيد الاحتمالات، وقد حدث فعلاً بعد الجمعة

التالية اعتداء على مسجد لأبناء السنة في مدينة الشعب ببغداد، وإن اختيارهم لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام وللزمان الشريف وتكثير عدد الشهداء والجرحى إنما هو تفعيل للفتنة وتعظيم لتداعيات الحادث حتى تفلت زمام الأمور من العقلاء.

٢. نشر الرعب والفوضى وإرباك الوضع والمنع من الأمن والاستقرار لربوع البلد وهذه هي النتيجة التي أرادوها أيضاً بتفجير مكتب الأمم المتحدة في بغداد وقتل فيها ممثل الأمين العام للأمم المتحدة الذي قيل أنه عمل لإعادة العراق إلى وضعه الطبيعي حتى سمي (صديق الشعب العراقي) ومثل هذا الاستقرار يضّر بوضع بعض عصابات المجرمين لأنه سيسّهل القبض عليهم ويعرقل حركتهم ونشاطهم كما أنه يسلب مبررات وجود آخرين.

٣. التأثير في المعادلة السياسية

الجديدة التي بدأت تتبلور بعد سقوط النظام البائد لمصلحة الإسلام وخط أهل البيت عليهم السلام خاصة، ولا شك أن السيد الحكيم قدس سره كان عنصراً مؤثراً في هذه المعادلة الآن وفي المستقبل بما يمتلك من رصيد فكري وسياسي واجتماعي وديني فيمكن أن يكون عائقاً من تمرير الحالة التي يريدونها للعراق الجديد بمعارضته العملية أو النظرية على الأقل من خلال الخطب والكلمات التي كان يلقيها ويوعي الجماهير ويلفت أنظارهم إلى هذه الهواجس حسب تعبيره قدس سره.

٤. تعويق الحركة الإسلامية المتصاعدة بتصفية رموزها العاملين وهو أحد الأهداف الرئيسية التي جاءوا من أجلها لذا ليس من المصادفة أن يستهدف الشيخ احمد ياسين مؤسس حركة حماس في غزة بعد حادث الجمعة بأيام.

إذا عرفنا ذلك فماذا علينا أن نعمل:

١. العمل أزيد من ذي قبل على توحيد الأمة ونبذ الخلافات والالتفات إلى القضايا المصيرية التي تهمنا، وقد أبدى الشارع العراقي سنة وشيعة عرباً وأكراداً وتركمان مسلمين مسيحيين تفهمه للحاجة إلى هذه الوحدة من خلال المشاركة المليونية في التشييع وكانت هذه ثمرة كبيرة هوّنت المصاب الجليل، والمطلوب هو مواصلة العمل لترسيخ هذه الوحدة وإعادة النظر في الاختلافات السابقة وتنسيق مواقف الجميع وتوحيدها على خط رضا الله تبارك وتعالى ومصلحة الأمة.

٢. مضاعفة الهمّة والجهد لإعداد جيل من العلماء والمفكرين والقادة ليعوضوا الخسارة، فإن العالم إذا مات ثلم في الإسلام ثلمه لا يسدها شيء إلا عالم مثله فمثل هذه الأحاديث الجليلة تحملّنا

مسؤولية إضافية خصوصاً نحن الحوزة الشريفة ـ لتعويض هذا النقص وإدامة الحركة الإسلامية المباركة وتكثير مشاريعها سواء على صعيد تأسيس الحوزات العلمية في كل مكان وفتح المراكز والمجمعات الثقافية وإقامة المجالس والشعائر الدينية وعقد الندوات والمحاضرات والمسابقات وتكثيف اللقاءات ونشر وتوزيع الكتب والإصدارات الواعية ومن العناصر المهمة في هذه الحركة هو أعمار المساجد بكل ما يناسبها من الأنشطة الدينية والثقافية والاجتماعية.

٣. توعية الأمة وتثقيفها سياسياً لتكون على بصيرة بالأمور وتستطيع أن تشخص مصالحها وتميّيز النافع من الضار من القرارات التي تصدر في حقها وحتى تتوفر لها القابلية الكاملة على قراءة الأحداث وتحليلها وها هي تواجه قضية

مهمة في تأريخها وهي كتابة الدستور الذي هو المرجع والفيصل في قضايا البلاد ويمكن أن تكتب فيه فقرة على غفلة أو جهل من الشعب فتقوده إلى الكارثة.

في تأبين المرجع العارف
الشيخ محمد تقي بهجت[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون.

نقلت لنا وسائل الإعلام خبر رحيل المرجع العارف والعالم العامل سماحة الشيخ محمد تقي بهجت (أعلى الله درجته) إلى جوار ربه الكريم عن عمر ناهز (٩٦) عاماً.

كان الفقيد آخر من بقي من ثمار مدرستين عظيمتين:

(١) تقرير الكلمة التي تحدث بها سماحة الشيخ إلى طلاب بحثه الخارج في الفقه يوم الاثنين ٢٢/ج١/١٤٣٠ الموافق ٢٠٠٩/٥/١٧ بمناسبة وفاة المرجع الشيخ بهجت الذي وافته المنية عصر الأحد ودفن يوم الثلاثاء إلى جوار حرم فاطمة المعصومة في قم المقدسة.

(الأولى) في الفقه والأصول التي شيدها الأساطين الثلاثة الميرزا النائيني (ت١٣٥٥ هـ) والشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت١٣٦١) والشيخ ضياء الدين العراقي (ت١٣٦٣) وخرّجت الفحول من المراجع والعلماء وقد أدركها الفقيد الراحل حيث وصل النجف مهاجراً من مدرسة قم عبر مدرسة كربلاء عام ١٣٥٤هـ وحضر عند هؤلاء الأعاظم واستفاد منهم وعاد إلى قم عام ١٣٦٤ مكتفياً عن الحضور إلا قليلاً وكان مشاركاً فاعلاً في مجلس البحث الخاص الذي كان يعقده المرجع الراحل السيد البروجردي قدس سره ويشارك فيه المراجع العظام كالسيد الخميني والسيد الكلبايكاني (قدس الله سريهما) واشتغل بالبحث والتدريس والتأليف طيلة خمسين عاماً حتى وافاه الأجل وترك آثاراً مباركة.

(الثانية) مدرسة السلوك والعرفان التي انتهت إلى المرحوم السيد علي القاضي الطباطبائي والشيخ الطالقاني (قدس الله سريهما) وقد استفاد منها الفقيد الراحل إيّما استفادة ووجد فيها بغيته إذ كان منذ صباه نقياً طاهراً مقبلاً على عبادة ربه تبارك وتعالى، ويتحدث أقرانه في هذه المدرسة –وهم من أهل المعرفة كالشيخ عباس القوجاني والسيد محمد حسين الطهراني- عن مرتبة سامية بلغها الفقيد الراحل، ثم أضاف إليها بعد عودته إلى قم ما حباه الله تبارك وتعالى من ألطاف وفتح له من آفاق المعرفة وسبل الوصول إلى الكمال، ولم تكن سيرته وتوجيهاته قدس سره إلى الآخرين تخرج عمّا سنّة المعصومون (سلام الله عليهم)، لذا كان ينتقد من ينصبون أنفسهم شيوخاً ومعلمين للسلوك ويبتدعون برامج وأعمال لمريديهم وأتباعهم، ويقول قدس سره

ساخراً: لو كان شيء من هذا خيراً لأخبرنا به المعصومون عليهم السلام لأن غرضهم كان هداية الخلق وسعادتهم فلم يخفوا شيئاً مما يحصّل هذا الغرض.

وحينما نحاول دراسة شخصية المرجع الراحل لنتلمّس العناصر التي صنعته نجد على رأسها إخلاصه لله تبارك وتعالى وإعراضه عن الدنيا وهمّته العالية والجد والاجتهاد في تحصيل العلم والمعرفة ومراقبته نفسه، واجتنابه مضيعة الوقت بما لا ينفعه في طريق الكمال حتى المباحات التي يمكن أن تأخذ عنواناً راجحاً كالترويح عن النفس، يروى عنه أن أحد مريديه كان يكرر الدعوة عليه ليزور بستانه يوم العطلة والشيخ يسوّف إلى أن استجاب له وحضر في الموعد المحدد ومعه دفتر وقلم ليستغل الوقت بالبحث.

كان قدس سره يرى أن خير معلم هو العمل بما تعلم تطبيقاً للحديث الشريف «من

عمل بما علم، ورّثه الله علم ما لم يعلم»[1] والحديث «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»[2]، ويوجه إلى تصيد الموعظة والاتعاظ بها، وما أكثر المواعظ في أنفسنا وفي الآفاق ولكن ما أقل الاتعاظ. وكما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار»[3].

إن المدّعين للسلوك والعرفان كثيرون لكن الصادقين قليلون ومنهم الفقيد الراحل قدس سره لأنه استقاه من العين الصافية وهم أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وكان ينصح من يطلب منه برنامجاً لتهذيب النفس أن يفتح أبواب (آداب العشرة) من كتاب الحج وكتاب

(١) البحار: ج٤٠ ص١٢٨.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٤.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة: ٢٩٧.

(جهاد النفس) وكتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في وسائل الشيعة ويلتقط حديثاً ثم لا يفارقه إلى غيره حتى يعوّد نفسه على مضمونه، وإذا احتاج المبتدئون إلى شرح فليستفيدوا من كتاب (جامع السعادات) للنراقي و(المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء) للفيض الكاشاني (قدس الله سريهما).

فلا يشكُوَنَّ أحدٌ من عدم وجود المعلم أو المربي وبين أيدينا هذه الكتب الناطقة التي حملت إلى الأجيال غرر كلمات المعصومين (سلام الله عليهم) فهم حاضرون بيننا بآثارهم المباركة، أترى لو أننا كنّا في زمانهم عليهم السلام هل سنحصل على أكثر من سؤال فيجيبونه أو مشكلة يحلونها أو يبتدأوننا بكلمة تنفعنا وهذه كلها قد وصلت إلينا عبر هذه الأحاديث المباركة.

ولا أستغرب أن أجد توجيهاته قدس سره متطابقة مع ما استفدناه من سيدنا الشهيد الصدر الثاني قدس سره وما نوصي به فإن الأصل واحد.

وكان قدس سره يهتم كثيراً بطلب العلوم الدينية ويراه أكمل الطرق للوصول إلى الحق تبارك وتعالى ويحثّ الكلّ عليه، ومع تحرّزه من التصرف بالحقوق الشرعية إلا أنه قدس سره كان يرى صرف طالب العلم منه على نفسه أمراً راجحاً إذا كان يعينه على التفرغ له.

وحينما نقرأ في بداية تحصيله قدس سره أنه أخذ مقدمات العلوم في مدينة (فومن) التي ولد فيها وهي من مدن محافظة كيلان شمال إيران نسجّل بإكبار هذا السبق للحوزة العلمية في إيران التي أخذت على عاتقها نشر حوزاتها ومدارسها في كل مدن إيران وأتاحت بذلك الفرصة لكل من يرغب بالدراسة،

وفتحت أعين الناس على هذا المسلك المبارك، ولو بقيت محصورة في قم المقدسة لما وردها إلا قليل لجهل الناس بتفاصيلها، ولكنها لما وصلتهم أينما كانوا واحتضنتهم ووفرت لهم أسباب التحصيل وعرفوها فعشقوها فالتحقوا بها فاكتسبت بذلك جماً غفيراً من العلماء والفضلاء تلقّى أكثرهم المقدمات في مدنهم البعيدة وخففوا بذلك على حواضر العلم التي يفترض فيها أن تكون معهداً للدراسات العالية.

وهذا ما سعينا لتحقيقه من خلال نشر فروع جامعة الصدر الدينية وجامعة الزهراء عليها السلام في مدن وسط وجنوب العراق بلطف الله تبارك وتعالى عسى أن تنضج وتتحول إلى حوزات علمية متكاملة في جميع مدن العراق بلطف الله تبارك وتعالى.

إن فقد الشيخ بهجت العالم العامل سبّب ثغرة وثلمة في الإسلام لا يسدّها شيء أبداً إلا بمواصلتكم طريق العلم والعمل الصالح حتى تصبحوا مثله بلطف الله تبارك وتعالى ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢١).

في تأبين المرجع الراحل
الشيخ المنتظري (قدس سره)[1]

لم ينحدر الفقيد الراحل الشيخ المنتظري قدس سره من أسره علمية فأبوه قروي بسيط لكنه متديّن طيب كان شغوفاً بأن يسلك ولده طريق العلماء فوَّجهه إلى ذلك وبذل ما يمكنه لتحقيق هذه الأمنية، ورافقت تحصيله صعوبات جمّة لا تقتصر على الجوع والفقر والحرمان. وهي على ما يبدو سنة جارية في كيفية صنع العلماء والعظماء، وطلاب الكمال عموماً حتى

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي(دام ظله) في تأبين المرجع الشيخ المنتظري الذي وافته المنية يوم ٢/ محرم/ ١٤٣١ الموافق ٢٠٠٩/١٢/١٩ وكانت الحوزة العلمية في تعطيل أيام عاشوراء ولما بدأت الدراسة يوم ١٧/ محرم افتتح سماحة الشيخ بحثه الشريف بتأبين المرجع الراحل.

يتأسى بهم المتأسون ولا يستوحشوا الطريق الوعر وإن قلّ سالكوه.

ورغم ذلك فقد ارتقى الفقيد الراحل في مدارج العلم والعمل حتى فاق اقرأنه وأصبح علماً من أعلام العصر، ولا أستبعد ما سمعته من بعضهم حين نقل عن السيد الخوئي قدس سره قوله في الشيخ المنتظري: أنه احذق فقهاء عصره، فالفقيه لا يعرفه إلا فقيه مثله.

لقد نبغ مبكراً وطويت له مسافة تحصيل العلوم فحظي باهتمام أستاذه المرجع الكبير السيد حسين البروجردي قدس سره (توفي ١٣٨٠هـ /١٩٦١م) وقد قرّر أبحاث أستاذه في الفقه فحرّر كتاب (البدر الزاهر في صلاة المسافر) عام ١٣٦٨ أي قبل أكثر من ستين عاماً وهو في الثامنة والعشرين من العمر (ولد عام ١٣٤٠هـ).

ولم تقتصر آثاره على الفقه والأصول فقد اعمل فكره الشريف في قضايا عقائدية واجتماعية وسياسية وفكرية.

وصفه احد المجتهدين من تلامذته لي قبل سنتين تقريباً بأنه (حر) وهذا الوصف على اختصاره بكلمة واحدة إلا أنه يختزن الكثير من خصال الخير والملكات الشريفة.

فمن علامات ذلك نبذه منذ صغره لحياة أقرانه وحبس نفسه على حياة طلب العلم وسائر الكمالات وتحمّل الصعوبات، ومن ذلك رفضه الظلم والاستبداد منذ نعومة أظفاره وانخراطه في العمل الإسلامي فلحقه من الأذى ما لحقه فسُجن سنين وعُذّب وحكم عليه بأقسى العقوبات.

وكان من المتحمّسين لوحدة المسلمين والتقريب بين طوائفهم ومتواصلاً مع جهود دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

في القاهرة من خلال سكرتيرها الشيخ محمد تقي القمي الذي اختاره السيد البروجردي قدس سره لها.

وكان متفاعلاً مع قضايا الأمة الإسلامية حتى خارج إيران وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وكان متحمساً أيضاً للإصلاح في الحوزة العلمية والنهوض بواقعها لتكون بمستوى تحمّل المهام الواسعة المطلوبة منها وساعياً لحل المشاكل والاختلاف في وجهات النظر التي تحصل أحياناً كما يروي في مذكراته عن مساعيه لدى السيد البروجردي قدس سره والسيد الطباطبائي صاحب الميزان بسبب ما حصل لبعض الطلبة من تدريس الأخير لكتاب (الأسفار الأربعة).

وكان السيد الخميني قدس سره يعرف مكانة الشيخ المنتظري قدس سره وجهاده فعيّنه خليفة له بعد انتصار الثورة الإسلامية كما تولى

مهام ثورية عديدة حتى عزله السيد الخميني قبل عدة أشهر من وفاته عام ١٩٨٩ إلا أنه وجّه الفضلاء للاستفادة من علمه، وإن عزله كان من أدواره السياسية فقط لمصالح رآها السيدقدس سره ولا يؤثر ذلك على منزلة الشيخ العلمية.

إنه ليحزننا أن يرحل عنّا الشيخ المنتظري في مثل الظرف الذي رحل فيه فلم ينل ما يستحقه من التأبين والرثاء والتكريم وعرفان الجميل، وهذا من أخطار السياسة على الدين، فنحن وإن كنّا نؤمن بشمول الدين لكل نواحي الحياة ومنها السياسة والحكم، إلا أن العلاقة بين العلماء والحكام أو كما يقال بين السياسة والدين لا بد وأن تُحكم بقوانين وضوابط وحدود، ومتى ما تجاوزت السياسة حدودها وأرادت توظيف الدين لمصلحتها أضرّت بالدين وأهله، ولا شيء عندنا يعدل الدين، فكل شيء لا بد أن

يوظف لإعلاء كلمة الله تبارك تعالى وهداية الناس وصلاح شؤونهم.

لقد كان الشيخ المنتظري قدس سره من حفاظ الشريعة وأمناء الأمة ومن الرعيل الأول من الفقهاء الذين افنوا أعمارهم في إرساء دعائم مدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم) ونقول فيه: كما قال الإمام الصادق عليه السلام في بعض أصحابه «لقد أوجع قلبي موت أبان»[1] «لولا زرارة لاندرست أحاديث أبي»[2].

كنّا نعرض آراءه الشريفة في بحثنا ونناقشها ونقول عنه (دام ظله الشريف) واليوم نقول عنه قدس سره وفي ذلك عبرة لنا فـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ليلة وفاته وهو مسجى بين

(١) الوسائل: ج٣٠ ص٢٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٤.

أهله وأصحابه (أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم)[1] فإِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ، ونسأل الله تعالى أن يجمعنا وإياهم في مستقر رحمته تحت ظلّه، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه.

(١) الكافي: ج١ ص٢٩٩.

في تأبين الفقيد سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي[1]

(١) من العلماء الأعلام في المملكة العربية السعودية، ولد في البصرة سنة ١٣٥٤/١٩٣٥ ودرس مقدمات العلوم الدينية على والده ثم التحق بالحوزة العلمية في النجف الأشرف سنة ١٣٦٨ وأكمل دراسة المقدمات والسطوح والتحق بأبحاث الخارج عند السيد الخوئي والسيد الحكيم والسيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي وغيرهم (قدس الله أرواحهم جميعاً).

التحق بالدفعة الأولى من طلبة كلية الفقه وتخرج فيها عام ١٣٨٢/١٩٦٢ وحصل على الماجستير من كلية الآداب في جامعة بغداد عام ١٣٩١/١٩٧١ وعلى الدكتوراه من جامعة القاهرة بدرجة امتياز عام ١٣٩٦/١٩٧٦.

غادر العراق إلى جدة عام ١٣٩١/١٩٧١ حيث عُيِّن استاذاً في جامعة الملك عبد العزيز وبقي

بسم الله الرحمن الرحيم

فُجع العالم الإسلامي برحيل سماحة آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وفقد بوفاته عالماً رسالياً مصلحاً مثقّفاً أديباً حصيفاً، ونحن بأمسِّ الحاجة لجهود أمثاله ممن اجتمعت فيه هذه الصفات الكريمة لحل مشاكل الأمة والارتقاء بأبنائها.

عرفتُ سماحة الشيخ الفقيد منذ عقود حينما قرأت ما كان ينشر في مجلة الإيمان التي كان يصدرها والدي المرحوم الشيخ موسى اليعقوبي في النجف الأشرف منذ العام ١٣٨٣/١٩٦٣، حيث

مدرساً حتى عام ١٤٠٩ حيث أحيل على التقاعد، واستقر في الدمام شرق المملكة.

أجيز بالرواية من المرحوم الشيخ آغا بزرك الطهراني عام ١٣٧٤/١٩٥٣، توفي يوم ٢٧/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٤/٨.

شخّص بفطرته ووعيه وإخلاصه منذ سنوات دراسته المبكرة حاجة المناهج الدراسية في الحوزة العلمية إلى التحديث وإعادة النظر لتواكب متطلبات الحياة المعاصرة وتحدّياتها، ولا عجب في ميله إلى المدرسة الإصلاحية فقد كان من طلبة العلاّمة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره في الحوزة العلمية وفي كلية الفقه فتأثّر بآرائه وأفكاره، واختار صفحات مجلة الإيمان ومجلة أضواء التي كانت يصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف ليطلق دعواته تلك، ولم تقف عند حدود التمنّيات والتنظير بل وضع فعلاً بعض الخلاصات للمنطق وأصول الفقه تأسّياً بأستاذه المظفر قدس سره واستمر بالدراسة والتدريس حتى حضر بحوث الخارج عند أبرز مراجع وعلماء العصر (قدس الله أرواحهم).

كما أدرك رحمه الله في ذلك الوقت الفجوة الكبيرة بين الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية بل الشباب والمثقفين عموماً الذين انخرطوا في الحركات السياسية والأيدلوجيات البعيدة عن الدين، فرأى لزاماً عليه أن يعمل ما بوسعه لردم هذه الفجوة المصطنعة بمكر أعداء الإسلام وجهل أبنائه والمدّعين لسدانة مؤسسته الإلهية المباركة، وعرف أن العمل المثمر يكون بولوج هذه الجامعات من أبوابها بأن يكون عنصراً فاعلاً وصاحب قرار فيها فالتحق بكلية الفقه التي أسسها المرحوم الشيخ المظفر وكان من طلبة الدفعة الأولى التي تخرجت عام ١٩٦٢ ثم واصل دراسة الماجستير والدكتوراه وحصل عليها من القاهرة بامتياز.

ومضافاً إلى ذلك فقد كان أديباً وعضواً في جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف التي أسّسها المرحوم

جدّي الشيخ محمد علي اليعقوبي ونخبة من زملائه سنة ١٩٣١ وبقي عميداً لها أكثر من ٣٠ سنة حتى وفاته عام ١٩٦٥.

كل هذا يدل على أنه كان ذا همّة عالية وشعور كبير بالمسؤولية وأمل عريض برفعة الإسلام وعزّة أبنائه، ولم يكتف في عطائه بعمره في الدنيا الذي ناهز الثمانين، بل أضاف له عمراً ثانياً ممتداً بإذن الله تعالى حين طبّق الحديث النبوي الشريف «إذا مات المرء انقطع عمله إلاّ من ثلاث» فترك لنا مؤلفات نافعة ومؤسسات مثمرة وأنجالاً صالحين لتكون له صدقات جارية.

لقد رحل فقيدنا الجليل والجميع بحاجة إلى مساعيه الحكيمة للقضاء على الفتن والتوترات التي يعاني منها أحبتنا في أرض الحرمين الشريفين المباركة حرسها الله وأهلها من كل سوء ووقاها شر الأعداء المتربّصين، ونراهن على حكمة

العقلاء من جميع الأطراف لتطويق الأزمة وفك عقدها بالحوار البنّاء والابتعاد عن الانفعال والتعصّب، وان يكون هاجس الجميع ازدهار البلد ورفاه أبنائه وعزّتهم وكرامتهم.

تغمّد الله تعالى فقدينا الراحل برحمته الواسعة وألحقه بالصالحين من عباده، وجعل روحه الطاهرة مصدر إلهام لإخواننا في المملكة ولجميع المسلمين في فعل الخيرات، والله ولي المؤمنين.

محمد اليعقوبي ـ النجف الأشرف
٢٨/ج١/١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣/٤/٩

تأبين الفقيد الكبير المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله قدس سره

«إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء» الإمام الصادق عليه السلام.

إن انثلام الإسلام يعني غلق نافذة كانت تطل منها البشرية النكدة المتعبة على الإسلام لتقتبس من نوره ما يضيء لها درب السعادة والطمأنينة.

ويعني حصول ثغرة في حصن الإسلام والمسلمين حيث يقف العلماء العاملون عليها للدفاع عن عقائد الأمة ومبادئها وأخلاقها وحاضرها ومستقبلها.

ويعني النقص في العلوم والمعارف والبركات والألطاف التي كانت تنزل على الأمة بإفاضة العلماء الربانيين.

هذا ما حصل اليوم عندما رحل عنّا صاحب النفس المطمئنة فقيدنا الكبير

سماحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله (قدس الله روحه الزكية) ورجع إلى ربّه راضياً مرضياً فألحقه الله تبارك وتعالى بدرجة آبائه الصالحين.

لقد كان الفقيد الراحل مثالاً للعالم العامل بعلمه، والطبيب الدّوار بطبّه، ولسمو الذات، وعفّة السلوك، فقد تسامى عن الأمور الدنيّة وترفّع حتى عن الرد على من أساء إليه.

لم توقفه المحن والصعوبات والإرهاب ومحاولات التصفية الجسدية والمعنوية عن مواصلة درب الجهاد وتوعية الأمة ومسيرة الإصلاح واستمر على ذلك أكثر من خمسين عاماً، ويجد الكثير من الرساليين العاملين أنفسهم مدينين لجهاده وجهده المباركين، وتشهد بكل ذلك كتبه التي أنتجتها أنامله الشريفة في مختلف العلوم والمعارف، ومؤسساته الخيرية والثقافية في أصقاع المعمورة التي

تساهم في إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ونشر مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونصرة المظلومين والمستضعفين، ومساعدة المحرومين وبهذه المناسبة نرفع أحرّ التعازي إلى مقام مولانا صاحب العصر والزمان (أرواحنا له الفداء) ولذوي الفقيد وللعلماء العاملين الذين عرفوا فضل الراحل الكبير وثمّنوا عطاءه، ولعموم المسلمين خصوصاً أتباعه ومريديه ومحبّيه.

وعزاؤنا أن يسدّ هذه الثلمة الخلف الصالح من العلماء السائرين على طريق ذات الشوكة، لأنه من الصعب التعويض بمثله لأنه كان أمة وحده.

وأملنا أن تبقى المؤسسات الخيرية والعلمية والثقافية التي شادها بروحه وعمره الشريف وآزره عليها ثلة من المؤمنين الصالحين الذين هداهم الله

تعالى إلى فعل الخير بإذنه، وأن تستمر بأداء دورها المبارك المعطاء.

ونقول لذوي الفقيد الراحل: لكم في مصائب أجدادكم الطاهرين سلوة وفي صبرهم الجميل أسوة، وما عند الله خير وأبقى ولنعم دار المتقين.

أنستْ رزيتكم رزايانا التي
سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

محمد اليعقوبي – النجف الأشرف
٢١/رجب/١٤٣١ الموافق ٢٠١٠/٧/٤

في تأبين المرحوم العلامة الشيخ محمد علي العمري

رحل عنّا اليوم ملتحقاً بالرفيق الأعلى علمٌ من أعلام الشيعة العاملين وهو العلامة المرحوم الشيخ محمد علي العمري[1] (رفع الله في الجنان درجته) فعظّم الله أجر سيدي ومولاي صاحب العصر والزمان (أرواحنا له الفداء) بفقد

(١) ولد سنة ١٣٢٩/ ١٩١١ ، وفي سنّ الساسة عشرة اصطحبه والده الشيخ علي بن احمد العمري إلى النجف الاشرف لدراسة العلوم الدينية حيث درس عند عدد من الأعلام كلشيخ محمد رضا والشيخ محمد حسين المظفرين والشيخ محمد جواد مغنية والسيد باقر الشخص والسيد مسلم الحلي وغيرهم . ثم عاد إلى وطنه المدينة المنورة ليكون من علمائها العاملين .. وهو من شهود هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام عام ١٣٤٤/١٩٢٦.

أحد أنصاره، وعظّم الله تعالى أجور المسلمين بغياب مفخرة من مفاخرهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد جاهد الفقيد في إعلاء صرح مدرسة أهل البيت عليهم السلام في المدينة المنورة ومنطقة غرب المملكة، فكان عمله المبارك مصداقاً لقول الإمام الصادق عليه السلام: «وأما الجهاد الذي هو سُنّة فكل سُنّة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها و إحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال، لأنها إحياء سُنّة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء»[1]. وكأنّ الله تعالى قد أعدّه لهذا الدور؛ إذ بسط له في العمر وفي العلم وفي الحكمة والشجاعة وفي الجاه الاجتماعي والودّ في قلوب

(١) الكافي: ج٥ ص١٠.

المؤمنين، مما مكّنه من تحقيق هذا التقدم الكبير الذي يعجز فردٌ بل أفراد عن إنجازه، فلله دَرُّه وقد وقع على الله تعالى أجره.

التقيته رحمه الله قبل ثلاثة أشهر حينما تشرّفت بزيارة روضة النبي صلى الله عليه وآله ومسجده الشريف في طريقي إلى الحجّ، وحرصت على أن يكون أول شخص أزوره، وتحدثنا معه بحضور ولده فضيلة الشيخ كاظم وجمعٍ من الفضلاء والمؤمنين، وكان قوي الذاكرة مهيب الشخصية لم تنل الأعوام المائة التي عاشها من ذاكرته، وأبدينا ما تقتضيه المسؤولية من الشكر لتضحياته الجسيمة وعمله الدؤوب في إعزاز أتباع أهل البيت عليهم السلام وتقوية وجودهم، والنمو المستمر في مشاريعه المباركة التي تجولت فيها فوجدتها تَسرُّ كلَّ موالٍ، ورأيت كيف أن قوافل الحجيج تتوافد على الحسينية العامرة وتتبرك

بتناول الطعام في المضيف الذي أنشأه باسم الإمام الحسن عليه السلام، ويرى الكثيرون ـ علماء وفضلاء ومسؤولون ومؤمنون ـ أن من الواجب عليهم زيارة سماحته تثميناً لدوره المبارك وتاريخه الحافل، واعترافاً بفضله على الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

كان شجاعاً ذا عزيمة قوية صادقاً مع الله تعالى فيما عاهده عليه، لم يُثنهِ الخوف والوعيد والصعوبات التي اعتاد التعرض لها، ومضى قُدُماً في طريق ذات الشوكة حتى شيِّد أركان هذا المجد، وأمدّ الله تعالى في عمره المبارك ليرى بعينه ثمرة تلك الجهود وذلك الجهاد قبل أن يُريَهُ جزاءه الحسن في جنات النعيم.

نقدّم تعازينا لذوي الفقيد الراحل، ونخصّ بالذكر ولده فضيلة الشيخ كاظم الذي لمسنا فيه الهمّة والحماس لمواصلة هذا العمل المبارك ووعيه لمسؤولياته

وعلمه بضخامة الإرث الذي تركه الفقيد، والذي أصبح مهوى أفئدة المؤمنين من كل حدب وصوب.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب/٢٣)

محمد اليعقوبي –النجف الأشرف
الاثنين ١٩/ صفر/ ١٤٣٢ ـ ٢٠١١/١/٢٤

في ذكرى السيد عبد الوهاب الطالقاني
شهيد انتفاضة شهر صفر/ ١٩٧٧[1]

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على خير خلقه المعبوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

كنت عام ١٩٧٧ طالباً في الدراسة الإعدادية في بغداد وكان والدي الشيخ موسى رحمه الله يقيم كعادته مجالس الوعظ والإرشاد الحسيني في شهر صفر/ ١٣٩٧

(١) تنادى جمع من الأدباء والكتّاب في النجف الأشرف لإحياء ذكرى شهداء انتفاضة النجف الأشرف في الزيارة الأربعينية صفر/١٣٩٧ الموافق شباط/١٩٧٧، وقد طلب صاحب المشروع من سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) كتابة خاطرة عن المرحوم الشهيد السيد عبد الوهاب الطالقاني فاستجاب سماحته بهذه الكلمة.

في مناطق متعددة من بغداد خطيباً واعظاً ذاكراً لفضائل أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم.

وكان في تلك الأيام منشّداً بقوة إلى ما تغلي به النجف الأشرف من روح الولاء لأهل البيت عليهم السلام والاندفاع الشجاع لمقاومة محاولات السلطة الجائرة للقضاء على الشعائر الحسينية، وكان رضي الله عنه يتتبع الأخبار ويحفي السؤال عنها، وكنّا نطّلع من خلال ذلك على تطورات الأحداث في النجف.

وكان اسم المرحوم الشهيد السيد عبد الوهاب الطالقاني من ألمع تلك الأسماء وأمضاها موقفاً حتى بلغنا نبأ اعتقاله واستشهاده مع ثلّة من الذين مضوا على طريق ذات الشوكة وصانوا الدين ورسالة أهل البيت بدمائهم وضحوا بزهرة دنياهم وشبابهم شوقاً للقاء الأحبة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

ومنذ ذلك اليوم أحببت هذا الشهيد المؤمن الصابر المحتسب، وأحببت موكب (علي بن الحسين) الذي أسّسه في النجف ليكون رائداً في الإحياء الواعي للشعائر الحسينية والحركة المنظمة وتوسيع قاعدة المشاركة، بعيداً عن الأطر الحزبية والجماعات التنظيمية، لكنه تفوّق عليها في همّته وشعاراته الواعية وإجهاره بعقائده الحقّة وقيادته للجماهير النجفية في المناسبات الدينية لأهل البيت عليهم السلام أو لإظهار مكانة المرجعية الدينية وعمق تأثيرها في الناس.

وقد عرفت المرجعية الدينية وعلماء الحوزة العلمية له هذا الإخلاص والحركة المباركة فأشادوا به، وأيّدوا حركته، وأمدوا نشاطاته بالدعم المادي والمعنوي.

لقد مرّت الأمة في تلك الأيام من صفر عام ١٣٩٧/ شباط- ١٩٧٧/ في أوج عنفوان السلطة وتفرعنها بمنعطف مهم في

حياتها ومفترق طريق، أما أن تسير نحو المجد والخلود والبقاء ورضا الله تبارك وتعالى والنبي وآله (صلى الله عليهم أجمعين) بما يتطلب ذلك من تضحيات جسيمة، أو المضي في حالة الخنوع والاستسلام ظناً منها أن ذلك يخلصها من بطش النظام وقسوته مع ما فيه من محق لهويتها ودينها وإلغاء لوجودها.

وفي مثل هذه المنعطفات تجتمع شياطين الجن والإنس وتحشد كل قواها لتصدِّ الناس عن طريق الحق وتقودهم إلى طريق الضلال والانحراف ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(الأعراف:١٦- ١٧).

وفي مثل تلك اللحظات الحاسمة تحتاج الأمة بشدة إلى الرجال الذين ملئوا معرفة وإخلاصاً وشجاعة لتتغلب على

هذه الشياطين ووسوستها للنفوس الأمّـارة بالسوء، ولتدل الأمة على طريـق الهدايـة والصـلاح، وكـان الشـهيد السـيد عبـد الوهاب الطالقاني وإخوانه البـررة وبـدعم كامل من المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره أبطال ذلـك الـزمن الصـعب، وأسّسوا بذلك للضربات المتلاحقـة التـي وُجِّهت للنظام حتى أصبح خاويـاً وسـقط بلا مقاومة تذكر عام ٢٠٠٣.

فالأمـة مدينـة بوجودهـا وحياتهـا واستقامتها على الصراط لأولئك الصادقين الذين وفوا بما عاهـدوا الله عليـه، فمـنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بـدّلوا تبديلا.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِـي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُـمُ الْوَارِثِينَ﴾(القصص/٥)

محمد اليعقوبي ـ النجف الأشرف
٥/ج١/ ١٤٣٣ـ ٢٠١٢/٣/٢٨

الفهرس

الشهيدان الصدران_تنوع أدوار ووحدة هدف ٥
الاحتفال الواعي: ٥
الماضي ينير للحاضر الوعي والبصيرة: ٥
الفرق بين منهج الصدر الأول والثاني: ٧
كل مشاكلنا بسبب النقص في التربية الأخلاقية: ١٠
لنستلهم من الشهيدين الصدرين: ١١
الشهيدان_الصدران واستشراف المستقبل ١٥
من مميزات القائد استشراف المستقبل: ١٥
القائد هو من يصنع المستقبل بلطف الله تعالى: ١٧
البصيرة الثاقبة للشهيدين الصدرين: ١٧
عندما نستوحي من سيرة المعصومين عليهم السلام: ١٩
ماذا سيفعل الشهيد الصدر الأول لو كان حياً بيننا الآن؟
..... ٢٢
قراءة واعية في مشاريع الشهيد الصدر الأول: ٢٥
تطوير الحوزة: ٢٦
البناء الأخلاقي لطلبة الحوزة: ٢٨
نشر فقه أهل البيت (عليهم السلام): ٢٩
تمثيل النموذج الحضاري الإسلامي: ٣١
من عطاء الشهيد الصدر على المستوى السياسي: ٣٣

لا تتاجروا بالمرجعية: ٣٦
حب الدنيا رأس كل خطيئة: ٣٧
لماذا نحتفي بالعلماء؟ ٣٨
نعرف الله تعالى من خلال المعصومين عليهم السلام: ٤٠
لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ: ٤٢
فقدان العلماء يدعونا إلى التخطيط الجدي لإعداد البدائل ٤٥
صناعة العالم: ٤٥
لا نبدأ بتهيئة العالم من وفاة العالم الذي قبله: ٤٦
على الحوزات أن تخطط لمستقبلها: ٤٨
وعي القيادة الرشيدة لزمانها: ٤٩
السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وتصحيح المفاهيم ٥٣
تصحيح المفاهيم: ٥٣
التصحيح مسؤولية العلماء والمفكرين: ٥٥
مفهوم الانتظار في فكر الشهيد الصدر الثاني: ٥٦
الاجتهاد في فكر الشهيد الصدر الثاني: ٥٧
الجهاد والرسالية في فكر الشهيد الصدر: ٥٩
لا تكتفوا بالجهاد الأصغر: ٦٠
تربية النفس نقطة الانطلاق لإصلاح الآخرين: ٦٠
الضعف أمام الدنيا: ٦٢

مراجعات الشهيد الصدر تجاه الفاعلين في الحركة الإسلامية:..... ٦٣
المرجعية الرشيدة حملت مسؤولية التصحيح:..... ٦٤
عوامل نجاح الحركة الإصلاحية المباركة ٦٦
للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) ٦٦
عوامل نجاح الشهيد الصدر الثاني:..... ٦٧
تهذيب النفس والسيطرة عليها:..... ٦٧
الارتباط بالله تعالى: ٧٠
معايشته للقرآن الكريم:..... ٧٢
دراسة سيرة الأئمة (عليهم السلام) بدقة:..... ٧٤
الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم:..... ٧٥
عدم الانفصال عن الواقع:..... ٧٦
نزوله الى المجتمع ومخاطبته لجميع الناس:..... ٧٩
استثمار طبيعة العلاقة مع السلطة:..... ٨١
المشروع السياسي للسيد الشهيد ٨٤
الصدر الثاني قدس سره ()..... ٨٤
تعريف المشروع السياسي:..... ٨٤
قيادة الحركة الإسلامية في ظل البطش الصدامي: .. ٨٩
استثمار نتائج الانتفاضة الشعبانية المباركة:..... ٩٣
المرجعية والعمل السياسي:..... ٩٤

ما الذي دفع الناس إلى اتباع السيد الشهيد الصدرقدس سره: ٩٩
معالم المشروع السياسي للسيد الشهيد الصدر:..... ١٠٠
النشاطات السياسية للسيد الشهيد الصدرقدس سره:..... ١٠٥
الطعنات من الخلف: ١١٠
التصدي للمرجعية أساس الانطلاق في المشروع الإسلامي: ١١٨
من تاريخ الحركة الإسلامية_والسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)١٩٨٥ – ١٩٩٠ ..... ١٢٠
اللقاء الأول بالشهيد الصدر:..... ١٢٠
الانفراج النسبي عن الشهيد الصدر:..... ١٢٣
نمو المظاهر الدينية وأثرها على الحوزة: ١٣٢
تأليف ما وراء الفقه: ١٣٣
أثر انتهاء الحرب على العلاقة مع الشهيد الصدر:.. ١٣٦
دور السيد الشهيد الصدر الثاني(قدس سره) في الانتفاضة الشعبانية ١٤٠
عتب على المؤرخين: ١٤٠
نتائج الانتفاضة الشعبانية أهم من نتائج ثورة العشرين: ١٤١
الموعظة وأخذ الدرس:..... ١٤٣
الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)وإعداد البديل... ١٤٥

على أبناء الحوزة أن يحصلوا ملكة الاجتهاد: ١٤٥
مسؤولية المرجعية أن لا تخلي الأرض من المجتهدين: ١٤٦
دعوة للاستعداد المبكر لتحصيل شروط المرجعية، والإشادة بالنبوغ والإبداع: ١٤٧
الحوزة النجفية لم تصدر شهادة اجتهاد واحدة منذ أكثر من ثلاثين عاماً: ١٤٩
مفارقة مؤلمة: ١٥٠
الملحق:_كلمات في تأبين العلماء واستلهام الدروس الرسالية ١٥٣
ماذا استهدفوا بعملية يوم الجمعة الدامي_وماذا علينا أن نفعل ١٥٥
إذا عرفنا ذلك فماذا علينا أن نعمل: ١٦٠
في تأبين المرجع العارف الشيخ محمد_تقي بهجت ١٦٣
في تأبين المرجع الراحل الشيخ_المنتظري (قدس سره) ١٧٢
في تأبين الفقيد سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي ١٧٩
تأبين الفقيد الكبير المرجع الديني ١٨٥
السيد محمد حسين فضل الله (قدس الله سره) ١٨٥

في تأبين المرحوم العلامة الشيخ_محمد علي العمري ١٨٩
في ذكرى السيد عبد الوهاب الطالقاني شهيد انتفاضة شهر صفر / ١٩٧٧..... ١٩٤